السخرية البيانية في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

لنيل درجة المعيدية

الطالب : محمد عدنان الخطيب

شعبة التفسيروعلوم القرآن

الأستاذ المشرف : العالم أحمد اللدن

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين .

سبحانك اللهم لا نحصي ثناءً عليك .

سبحانك اللهم أنت الواهب لكل شيءٍ ولا شيء إلا هو قائم بك .

سبحانك اللهم بك نحيا وبك نموت وإليك يرجع الأمركله .

سبحانك اللهم أنت الموفق وأنت المعين وأنت على كل شيءٍ قدير .

سبحانك اللهم أنت الحافظ من الزلل ، والدافع للعلل والفاتح لأبواب الخير والإخلاص في العمل .

ربّ أعوذ بك أن أكون من الجاهلين ، ادفع عني ربّ فلتات اللسان ، والهزء والزلل والبهتان ، وقوّمني بآداب الأسلام وأخلاقه ٠

ربّ ما كان مني من سخرية فاغفره لي وألهم الناس مسامحتي عنه ، وما سيكون منها فادفعه عني ، فإنه لا يدفع الشر إلا أنت ٠

ربّ وفّقني لما فيه الخير لي عندك وهيئ لي من أمري رشداً ، واجعل هذا العمل مباركاً نافعاً خالصاً لوجهك الكريم يا معين ، يا كريم ، أستفتح باسمك العظيم حباً لك ولجوءاً إليك واحتماءً من كل داء . يا واهب الخير هب لي منه بما أنت أهله ، واحفظني بما ترضاه لي ، إنك أنت الكريم الرحيم .

خطبة البحث

كانت بداية ربما أتت من غير ميعاد وعن غير سابق قصد مع عنواني هذا *" السخرية في القرآن الكريم " ربما لجدة فكرة كهذه طرقتني* فاستوقفتني ، وربما لعارض آخر لا أذكره ، ولكنني وقفت مع الفكرة هذه وها أنا في خطبة الكتاب .

كيف كان هذا المسعى ؟ وما الحصيلة التي نتجت عنه ؟

أ ــ أما كيف كان هذا المسعى ؟ فلقد كان سهلاً عسيراً !! ولا غرابة ، ولنقل من الممتنع السهل ، أو السهل الممتنع .

أوضح :

أما أنه سهل نعم فهو سهل ، لكون القرآن الكريم العظيم بين أيدينا وشروحه وتفسيراته من الوفرة ؛ حيث لم تتوفر لكتاب مثله على مر تاريخ البشرية ، فنحن أمام مئات من هذه التفاسير المتنوعة المطولة والموجزة والمسهبة والمركّزة . مما يسهّل للباحث التعامل مع النص والعمل في البحث

وأما أنه عسير أو ممتنع ، فلأن بحثاً كهذا ظهر فريداً من بين البحوث التي درست القرآن الكريم وتناولت مواضيعه ، اللهم إلا بحثاً واحداً في بابه كان رسالة في العالمية للباحث عبد الحليم حفني بعنوان : " الأسلوب الساخر في القرآن الكريم " عام ١٩٦٤ . وإنه لمن العجيب أن يكون أسلوب تعبيري واسع في القرآن الكريم كهذا لم يخصه الدارسون بالبحث والتعريف . نعم نجد نثارات من الإشارات إلى السخرية في التفاسير ، وكتب الأدب التي

درست السخرية في الأدب ، نجد إشارات إلى سخرية القرآن الكريم ولكن ذلك لم يكن لينفرد ببحث سوى دراسة العالم حفني .

ومع هذا لم تكن دراستي هي نفسها دراسة العالم حفني في المواضيع ونهج الدراسة بل ثمة تقاطع معها في بعض النقاط فقط . ومن ثَمّ فقد توجّهت دراستي إلى مواضيع جديدة وأظن أنها مفيدة إن شاء الله ، وهذا يعطي أن بحثاً حول السخرية في القرآن الكريم يمكن أن يكون متشعباً لا تكفيه دراسات فضلاً عن دراسة أو دراستين .

وعليه فمن هنا كان العسر أو الامتناع ، فأنا كنت أمام وجهات جديدة تحتاج إلى رؤية ودراية وروية لتفتيق نقاط البحث ولأمها ومن ثم إخراجها وجمعها ، وقد كان والحمد لله ، وإن كان أن بحثاً كهذا لا يكفي ــ كما تقدم ــ بل يحتاج إلى توسّع أكثر ودراسات أوفر في الموضوع .

هذا ولقد كانت المواضيع والنقاط التي دار حولها البحث هي التالية :

تمهيد في أهمية التفسير والتفسير الموضوعي

ثم قسمت البحث إلى بابين :

كان الباب الأول فيه مدخل إلى دراسة السخرية وثلاثة فصول :

أما الفصل الأول فتناولت فيه معنى السخرية اللغوي ، والاصطلاحي ، والألفاظ المشتركة معها في المعنى مثل اللعب والضحك والاستهزاء ..

وأما الفصل الثاني فكان حول وسائل السخرية وسلبياتها.

وتركز الدراسة على وسائل السخرية التي وردت في القرآن الكريم وأنواعها وهدفها وتبين أطرافها .

وكانت وسيلة السخرية الأولى في القرآن الكريم هي الكلمة

وهذه الكلمة حملت السخرية بشكل مباشر فأتت : سخر ونسخر وسخريا ويسخر وغيرها في آيات عديدة

وحملت السخرية بشكل غير مباشر ، وهذا ما نسميه بالأساليب

فأتت السخرية بالقلب في اللفظ ، وعكس المعنى كما في قوله تعالى :

﴿ **فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ لقمان : ٧ ٠ و﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ** ﴾ الدخان: ٤٩ ٠

وأتت بالاستهانة بعقول الكافرين : ﴿ **بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا** ﴾ الأنبياء: ٦٢

وأتت كذلك بالصوت : كما في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً** ﴾ الأنفال ٣٥

وأتت بالإشارة والحركة : ﴿ **وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ** ﴾ المطففين ٣٠

ونجد أنها أتت أيضا بالمدح في معرض الاستهزاء : كما في الآية المذكورة ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾

وبالتعريض في المعنى ، وذلك في قوله تعالى ﴿ **وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ سبأ ٢٤

وبالمقابلة بين حالين ، كما في قوله تعالى : ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ الأعراف ٤٤

وبالمشاكلة ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ البقرة ٥٧ ٠

وكذلك استعرضت بعض أساليب السخرية في الأدب، فكان منها التنابز بالألقاب واللعب بالألفاظ ، والكناية ، والمبالغة في الوصف والبعد عن الحقيقة والتركيز على جزئيات سيئة أو قبيحة ، وعكس المعنى ،والمحاكاة ، بالإضافة إلى الأساليب المستفادة من القرآن الكريم٠

وكان الفصل الثالث في السخرية عند العرب قبل الإسلام ؛ لنظهر الإضافة التي أضافها القرآن الكريم إلى هذا الفن بعد ٠

وجاء الباب الثاني حول السخرية في القرآن الكريم ، وهو المقصود بالبحث ، وكان على ثلاثة فصول :

الفصل الأول: في أنواع سخرية القرآن الكريم، فكانت سخرية محرمة وسخرية مباحة:

فوقفت على السخرية المحرمة وسلبياتها ؛ بين المسلمين أولا، ومن قبل الكافرين والمنافقين بالمسلمين ثانيا٠ وكانت آية الحجرات هي محور دراستي للسخرية بين المسلمين وإظهار تحريمها وسلبياتها والنقاط التربوية المستفادة منها٠

ووقفت على السخرية المباحة ، وهي سخرية القرآن الكريم بالمنافقين والكافرين، فبينت هدفها التربوي والإصلاحي والدعوي ، ورفعتها الأخلاقية، وتميزها على السخرية قبلها وبعدها ٠

وبعد أفردت فصلا حول تأثير القرن الكريم في السخرية عند العرب ٠

ثم فصلا ثالثا في نماذج أخرى من السخرية في القرآن الكريم، وعند الصحابة وعلماء الأمة السابقين

ومن بعد كانت الخاتمة ٠

ب ــ وأما الحصيلة التي نتجت عنه ، فهذا حكم الناظر وفضل المتكرّم ، لأنني لا أدّعي أنني شرعت نهجاً جديداً ، أو أقمت باباً عميداً ، بل إنه العلم المفيد ، أظهرت لهذا الفن التعبيري في القرآن الكريم علَماً ، وأقمت له سلّماً يسعى به من شاء بخطوات أوثق إن شاء الله وعلم أعمق ، ولي أن أشير إلى أن ما جمع في جنبات مباحث هذه الدراسة إنه لجمع جديد ومادة أصبحت مقعّدة أكثر سواء بأفكارها أم بنهجها ومصطلحاتها .

ولا شك أن التوفيق من الله سبحانه . وإنني هنا أضع هذا البحث بين يدي أساتذتي فعسى أن ينال قبولهم ويحظى بتقديرهم وتوجيههم لي إلى الأصوب والأفضل ، ولسوف أعمل بهذا التوجيه وأعده فضلاً آخر فوق فضل قبولي طالباً في هذا الصرح العلمي الحميد .

هذا مع شكري الجزيل لأستاذي المشرف **العالم أحمد اللدن** ٠

الطالب محمد عدنان حسن الخطيب

شعبة التفسير وعلوم القرآن ــ معهد الدعوة / بيروت

في جمادى الثانية عام ١٤٣٣هـ /

أيار عام ٢٠١٢ م

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مخطط البحث

يتكون البحث من : تمهيد ، في أهمية التفسير والتفسير الموضوعي

ثم ينقسم البحث إلى بابين:

الباب الأول ، وفيه مدخل إلى دراسة السخرية ،وثلاثة فصول هي:

الفصل الأول : في معنى السخرية ، وفيه ثلاثة مباحث:

١ معنى السخرية

٢ معناها الاصطلاحي

٣ الألفاظ المشتركة معها في المعنى٠

الفصل الثاني : وسائل السخرية وأساليبها٠

الفصل الثالث : السخرية عند العرب قبل الإسلام ٠

الباب الثاني : السخرية في القرآن الكريم ، وفيه مدخل، وثلاثة فصول ،هي:

الفصل الأول : أنواع هذه السخرية ، وفيه تمهيد ومبحثان هما :

١ السخرية المحرمة وسلبياتها ، وهي على قسمين :

ـــ السخرية بين المسلمين٠

ـــ والسخرية من قبل الكافرين والمنافقين بالمسلمين٠

٢ السخرية المباحة وهي سخرية القرآن الكريم بالكافرين والمنافقين

الفصل الثاني: تأثير القرآن الكريم في السخرية عند العرب بعد الإسلام.

الفصل الثالث : نماذج أخرى من صور السخرية ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول صور أخرى من القرآن الكريم.

المبحث الثاني من صور السخرية عند الصحابة وعلماء الأمة السابقين

ثم الخاتمة ٠

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

<u>في أهمية التفسير ، والتفسير الموضوعي</u>

إذا كان التفسير هو (الكشف والبيان)[1] فمما لا شك فيه أن الكشف عن آيات الله وبيان معانيها من أجل الأعمال وأوجبها . ولهذا : قال الإمام البيضاوي ــ رحمه الله ــ : (فإن من أعظم العلوم مقداراً وأرفعها شرفاً ومناراً علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها)[2].

فالتفسير يقف هنا رأساً للعلوم الدينية التي تنطلق من فهم القرآن الكريم أولاً ذلك أن التفسير ؛ أي تفسير يجب أن يعمل على (تقريب معاني كتاب الله تعالى إلى أفهام المسلمين وتجلية الأحكام الشرعية لهم ، ليعبدوا ربهم باعتقاد الحق ، وبالعمل بما شرع)[3] ، و(شرح اللفظ المستغلق عند السامع. مما هو واضح عنده مما يرادفه أو يقاربه أو له دلالة عليه بإحدى طرق

---

١ قواعد التفسير ، ص٢٥ / خالد بن عثمان السبت . دار ابن عفان ــ السعودية ــ الخبر ــ العقربية . ط١ ــ ١٤١٧/١٩٩٧.

٢ تفسير البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ٣/١ : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ، دار الكتب العلمية / بيروت ــ لبنان ، ط١ : ١٤٠٨ هـ– ١٩٨٨.

٣ أيسر التفاسير ٧/١/ لأبي بكر جابر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم / المدينة المنورة ــ ط٥ / ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م .

الدلالات)[1]. ومعلوم (أن النبي صلى الله عليه وسلم ، بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه)[2] .

فنبغ منهم في التفسير الخلفاء الأربعة و(عبد الله بن مسعود فقد روى ابن جرير عنه أنه قال : والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته)[3]. (ومنهم عبد الله بن عباس البحر ترجمان القرآن)[4] وقد روي عنه– رضي الله عنهما–(أنه قال: التفاسير على أربعة أوجه:

- تفسير تعرفه العرب من كلامها.
- وتفسير لا يعذر أحد بجهله.
- وتفسير يعلمه العلماء.
- وتفسير لا يعلمه إلا اللّه، فمن ادَّعى علمه فقد كذب)[5].

كما أن (من التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة كما قال مجاهد)[6] .(فقد قرأ القرآن على ابن عباس ثلاث مرات يسأله في كل مرة عن تفسير كل آية)[7] .

---

١ تفسير ابن المنذر : ٨/١ : لابن المنذر النيسابوري ٠ تحقيق العالم سعد بن محمد السعد ٠ دار المآثر / المدينة المنورة ٠ ط١ ١٤٢٢ــ ٢٠٠٢

٢ دقائق التفسير ٩٠/١ .

٣ التحبير في علم التفسير ، ص٥٥٢–٥٥٣. لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : زهير عثمان علي نور ، إدارة الشؤون الإسلامية ــ وزارة الأوقاف ــ دولة قطر ، ط١ : ١٤١٦ هـــ– ١٩٩٥ ..

٤ نفسه ، ص٥٥٣ .

٥ تفسير ابن المنذر : ٨/١

٦دقائق التفسير ٩٠/١ .

٧ التحبير ، ص٥٥٤ .

ولكن هذا لم يمنع من ظهور تفاسير أخرى لأهلها غير ما دارت عليه تفاسير الصحابة فلقد (حمل التفسير من كل خلف خلق وألفوا فيه الكتب كمقاتل والسدي ووكيع وعبد الرزاق ..)[1] .

وعليه فقد ظهر التفسير وفق مراحل[2] : مرحلة عصر الصحابة رضي الله عنهم ، ومرحلة التابعين ، ومرحلة عصر التدوين ، ومرحلة التصنيف ، ثم الخامسة والسادسة من التفسير بالرأي واتساع مجاله المذموم منه والمحمود .

وكان من أسباب هذا التعدد في بعض جوانبه: تعدد اللفظ والمراد واحد ، وذكر العام وإرادة بعض أنواعه ، واحتمال اللفظ للأمرين ، واستعمال الألفاظ المتقاربة ، هذا بالإضافة إلى ما استجد من علوم وما دخل على المسلمين من أفكار واطّلعوا عليه من عقائد الآخرين دعا هذا كله ــ إلى جانب غيره ــ[3] إلى وضع تفاسير جديدة تتماشى مع كل زمان ومكان مظهرةً مظهرةً آي القرآن الكريم بمعانيه المتجددة التي لا تبلى ولا تنفد مع الدهر (وما من شك أن التجديد وفق حاجات الناس ومقتضيات العصر ومتطلباته ضرورة يمليها القرآن الكريم نفسه)[4] .

وبعد فإن هذه التفاسير تعددت وتنوعت وفق هذه الضرورات فكان منها العلمي والأدبي والفقهي والصوفي والرمزي والأثري وغير ذلك مما أغنت

---

١ نفسه ، ص٥٥٥ .

٢ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عش، ٣٣/١، العالم : فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، طبع بإذن رئاسة البحوث العلمية والإفتاء في السعودية ، دون دار نشر / ط١ ، ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٦ م..

٣ ربما كان أحد الأسباب ما نشأ من دس وتحريف في معاني القرآن من قبل الفرق المنحرفة .

٤ منهجية البحث : /٧ . منهجية البحث في التفسير الموضوعي ، للقرآن الكريم ، ع : زياد خليل محمد الدغامين . دار البشير / عمان / الأردن . ط١ : ١٤١٦ – ١٩٩٥ .

المكتبة الإسلامية ونهل منها المسلمون على اختلاف أجناسهم ومستوياتهم . وكان من أساليب التفسير التحليلي والمقاربة والإجمالي ..

ومن ثم فقد نشأت حاجة أخرى هي الحاجة إلى تفسير وفق موضوعات القرآن الكريم بما يسمى "التفسير الموضوعي" و(هذا اللون من التفسير لم يبرز في جهود المفسرين قديماً ولمّا يتبلور في جهود الباحثين حديثاً)[1].

والتفسير الموضوعي هو التفسير وفق موضوعات القرآن الكريم(فهو أسلوب لا يفسر فيه صاحبه الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف ، بل يجمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع فيفسرها)[2] بل نضيف هنا : إلى أن من التفسير الموضوعي : أن تبحث عن كلمة "كالسخرية" في القرآن الكريم لتستجلي أبعادها وما عبّر به القرآن الكريم عنها . والنتيجة واحدة غير أن الثانية عكسية قد لا تكون ظاهرةً ماثلةً في القرآن الكريم للقارئ إذا لم يضعها في حسبانه ومن ثم فهذه الطريقة الثانية تزيد الفكرة وضوحاً وتكشف عن أبعاد جديدة لها في القرآن الكريم غير ما نتوقعه أو نعلمه ، وهذا ما سنجده في بحثنا عن "السخرية" في القرآن الكريم وأساليبها وأبعادها التربوية .

وللتوضيح فإن التفسير الموضوعي ينقسم إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي :

---

١ منهجية البحث : ص٨ : ظهر بشكل تفسير القرآن بالقرآن .

٢ محاضرات في التفسير الموضوعي ، ص١٢ . وللتفسير الموضوعي مرامٍ أخرى كأن يتتبع الباحث الآيات وفق نزولها لبيان حكمة الشارع في شرعه وقوانينه عن : (محاضرات في التفسير ، ص١٩) .

(الأول : أن يتتبع الباحث كلمة من كلمات القرآن الكريم ويجمع الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية ثم يقوم بتفسيرها ، واستنباط دلالاتها واستعمالات القرآن الكريم لها)[١].

و(الثاني : جمع الآيات القرآنية التي تتناول قضية واحدة بأساليب مختلفة عرضاً وتحليلاً ومناقشة وتعليقاً وبيان حكم القرآن فيها)[٢] .

و(النوع الثالث : هو تحديد الموضوع الذي تتناوله سورة قرآنية واحدة ثم دراسة هذا الموضوع من خلال تلك السورة وحدها)[٣] .

هذا فإذا عرفنا هذه الإحاطة للتفسير الموضوعي حيث يشمل الفكرة أو اللفظة أو موضوع السورة نعرف أهميته والحاجة إليه (في مجتمعاتنا المعاصرة أكثر من أي وقت مضى ، وذلك لبروز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة حيث لا يمكن تغطيتها وإيجاد الحلول الصحيحة لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)[٤].

(ومن أهمية التفسير الموضوعي أن الباحث فيه يستطيع أن يبرز جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه ، ويجد أهل الاختصاص في كل فنّ أن المعجزة الخالدة الباقية تقيم الحجة على الأجيال وأن في القرآن كفاية عن كل شيء)[٥].

---

١. ١ محاضرات في التفسير الموضوعي ، ص٢٧ . عباس عوض الله عباس . دار الفكر/ دمشق . ط١ : ١٤٢٨ – ٢٠٠٧

٢ نفسه ، ص٢٨ .

٣ محاضرات في التفسير الموضوعي ص:٢٨ .

٤ نفسه ، ص٣١ .

٥ السابق ، ص٣٢ .

وتكمن أهميته أيضاً (في تأهيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها كما هي عليه البحوث في الإعجاز العلمي في القرآن فهي تحتاج إلى ضبط بقواعد العلم كما إن التفسير الموضوعي يعين كل متخصص في تخصصه)[1].

ومما تقدم نعلم أن ما أشرع به في بحثي هذا وهو (السخرية في القرآن الكريم) فيه الفائدة إن شاء الله لمن سيأتي بعد ، كما أني استفدت ممن سبقني

١ نفسه

الباب الأول

مدخل إلى دراسة السخرية

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : معنى السخرية ، وفيه ثلاثة مباحث :

١ــ معناها اللغوي .

٢ــ معناها الاصطلاحي .

٣ــ السخرية والألفاظ المشتركة معها في المعنى .

الفصل الثاني : وسائل السخرية وأساليبها

الفصل الثالث : السخرية عند العرب قبل الإسلام

١ــ السخرية : معناها اللغوي

السخرية : اسم من الفعل سخر (يدل على احتقار واستذلال . من ذلك قولنا سخّر الله عز وجل الشيءَ ، وذلك إذا ذلّله لأمره وإرادته ، قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾ الجاثية ١٣ ومن الباب سخِرتُ منه : إذا هزئت به)[١].

(وسخر منه وبه ، كفرح ، سُخْراً وسَخَراً ، وسُخْرةً ، ومَسْخَراً ، وسُخْراً : هزئ كاستسخر . والاسم السُخْرية ، والسُخْريّ . ويكسر)[٢] .

فالسخرية اسم بمعنى الهُزء والإذلال ، كما يظهر هنا .

و(السخرية : الهزءُ . يقال : سخر منه وبه إذا هزئ به ، فالسخرية أعم لأنها تكون بالتنابز وغيره) . وميّز أبو هلال العسكري السخرية أكثر فقال : (إن الإنسان يستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يستهزأ به من أجله والسخر يدل على فعل يسبق من المسخور منه)[٣] .

---

١ مقاييس اللغة ، مادة سخر . / أحمد بن فارس . تحقيق : وضبط : عبد السلام هارون . دار الجيل / بيروت . دون تاريخ وطبعة .

٢ معجم المحيط ، مادة سخر .

٣ الفروق اللغوية ، ص٥٠ . : لأبي هلال العسكري (ص١٨) ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة ــ القاهرة ــ مصر ، ١٤١٨ – ١٩٩٧ .

ويقول الزمخشري: (وما معنى استهزائه بهم ؟ قلت : معناه إنزال الهوان والحقارة بهم لأن المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة عليه)[1]

---

١. ٤ الكشاف ٣٥/١ الزمخشري ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، شارك في التحقيق : د. قتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ، مكتبة العبيكان ، ط١ ١٤١٨ هـ ١٩٩٨م . الرياض .

٢ــ السخرية : معناها الاصطلاحي

أقول أولاً : إن السخرية لم ترد بهذا اللفظ في القرآن الكريم سواء بمعنى الهزء أو بمعنى الإذلال ، بل ورد ما في معناها أو من مشتقات الفعل "سَخر" الأخرى ، فأتى في قوله تعالى : "الساخرين" : ﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الزمر : ٥٦ .

"ومسخَّر" ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ البقرة : ١٦٤ .

والفعل ماضياً ومضارعاً : ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ هود : ٣٨ .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ التوبة : ٧٩.

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الأنعام : ١٠ .

وسِخْريًّا : ﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا ﴾ المؤمنون : ١١٠ .

وفي آيات كثيرة غير هذه .

غير أني سأقصد بالسخرية هنا معنى "الهزء" لأبعد معنى "التسخير" الذي ورد في معناها اللغوي .

وعلى السخرية بمعنى الهزء سيدور البحث كله بتفريعاته .

ومنه فالسخرية كما وردت عند ابن حجر الهيثمي (الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائض يومَ يُضحَكُ منه ، وقد يكون بالمحاكاة بالفعل أو القول أو الإشارة أو الإيماء أو الضحك على كلامه إذا تخبّط فيه أو غلط أو على صنعته أو قبيح صورته)[1] .

ووردت في فتاوى ابن تيمية رحمه الله (الاستهزاء هو السخرية : وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجد والحقيقة)[2] . وذلك في معرض تعريفه للاستهزاء .

والسخرية عند الفخر الرازي:(هي أن لا ينظر الإنسان إلى أخيه بعين الإجلال ولا يلتفت إليه ويسقطه عن درجته) ١٨٥/١٤

وجاء في كتاب "المستخلص " لسعيد حوى رحمه الله (٠ ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه ، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول ، وقد يكون بالإشارة والإيماء)[3]

ومما تقدم من أقوال الفقهاء نستطيع أن نستخلص معنى السخرية الاصطلاحي وهو: **الاستهزاء بالآخر بقول أو فعل أو حركة** ٠ وبهذا يكون المعنى هو نفسه المعنى اللغوي مجرداً من شقه الآخر وهو التسخير . هذا بالإضافة إلى ما نأخذ من السخرية **على أنها (أسلوب في فن القول يصطبغ به النص الأدبي وغرض من أغراض البلاغة يكون في كثير من أبوابها ... وهي لون من ألوان الهجاء)[4] . تعتمد على لمحة عقلية وليس عاطفية٠**

---

١ الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ٢٢/٢ .

وروح المعاني : ٢٦ / ١٥٢ ، وهو ينقل عن القرطبي .

٢ الفتاوى الكبرى : ٢٢/٦ .

٣ المستخلص في تزكية الأنفس ص ٤٠٥ ٠

٤ أساليب السخرية في البلاغة العربية ، ص :ج .

والسخرية ــ وإن كانت من أنواع الهجاء ــ (ولكنها تختلف عنه فالهجاء صادر عن نفس غاضبة تهدف إلى التجريح والتشهير والانتقاص والمبالغة في التعدي وليست السخرية كذلك في أغلب الأحيان)[١] وهذا يوجب علينا في قراءة النصوص الساخرة : (إن القراءة الحقيقية للنص ينبغي أن تكون أبعد من ظاهر العلاقات التي يتكون منها النص)[٢] . أي أن نستقصي لمحات السخرية العقلية هذه فيما بين السطور . هذا وقد يكون من دوافع السخرية (تخفيف الآلام)[٣] .

وإذا فرقنا بين السخرية والهزل نجد أن السخرية توحي بالذم بينما الهزل لا يوحي بأي ذم ، ولكن يراد به الفكاهة في التعبير ، وقد يراد بالهزل الكلام غير الجاد كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤ ﴾ الطارق :١٣، ١٤.

والسخرية (ضحك جاد)[٤] . وهي مزيج بين (الهجاء والفكاهة)[٥] .

وهي (فن لا يتقنه ولا يجيــده إلا الأذكياء البــارعون في التعبير عن الكــلمة بحذق ولباقة وذكاء)[٦] . وهي (ترقى بالفكاهة إلى المستوى الأكثر ذكاء ولباقة فتجعل لها معنى وتعطيها قدرة خاصة على أن يكون لها هدف وأن تخدم هذا الهدف)[٧] . وجاء في معناها عند الألوسي في تفسيره ([٨] التهكم أبلغ وجوه النفي والإنكار) ٠

---

١ أساليب السخرية في البلآغة العربية ص ٢٥ ٠ عن الاتجاه الساخر في أدب الشدياق ص ١١

٢ السخرية في الأدب الإسباني وفي روايات بايستير : ٤٤ .

٣ سيكولوجية الفكاهة والضحك .

٤ في البلاغة العربية : ٣٢ .

٥ في البلاغة العربية : ٣٠ .

٦ نفسه : ٢٩ .

٧ السخرية في أدب المازني ص ١٦ ٠

٨ روح المعاني ١٥ / ٢٤

والسخرية طريقة من طرق التعبير يستعمل فيها الشخص ألفاظا تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة ، وهي النقد والضحك أو التجريح الهازئ .

٣ــ السخرية والألفاظ المشتركة معها في المعنى :

يلحظ الدارس للسخرية في القرآن الكريم أنها وردت في ألفاظ كثيرة بمعناها ــ فضلاً على أنها لم ترد فيه ــ وهذا يستدعي منا هنا ونحن نوضح مبحثنا وندقق معالمه أن نتناول هذه الألفاظ الأخرى . فلقد ورد بمعنى السخرية كل من :

أ ــ الاستهزاء : من هزئ : يقال : هزئ واستهزأ إذا سخر . والهزء والهزؤ : السخرية[١] . (وقد ورد في القرآن الكريم أربعاً وثلاثين مرة بصيغ متعددة)[٢] : ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الأنعام : ١٠ .

ب ــ الضحك : قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الزخرف : ٤٧ . أي استهزاء وسخرية[٣] . وقال تعالى : ﴿فاتخذتموهم

---

١ معجم مقاييس اللغة : (هزأ) .

٢ : أساليب السخرية في البلاغة العربية : ص٤ .

٣ فتح القدير : ٤٠٨/٦ .

سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِى وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ المؤمنون : ١١٠ . وتضحكون هنا غاية الاستهزاء[١] .

ج ــ اللعب : جاء في القرآن الكريم : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الأنبياء : ٥٥ . أي من المستهزئين بنا[٢] . وقال تعالى : ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ الأنعام : ٧٠ .

قال الكشاف : (سخروا به واستهزؤوا)[٣] .

د ــ الغمز : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴾ المطففين : ٣٠ . أي يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاءً[٤] .

هـ ــ الهزل : قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ ﴾ . قال : بالهزل : (باللعب والباطل)[٥] .

و ــ اللمز : قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ التوبة ٧٩ . هذه الألفاظ وغيرها تشترك مع السخرية في معناها . **علماً أننا لا ننسى أن السخرية أسلوب ــ كما تقدم ــ و لا تقف عند ألفاظ بعينها بل تلمح من**

---

١ روح المعاني : ٦٩/١٨ .

٢ تفسير ابن عباس : ص ٢٧٢.

٣ الكشاف : ١٣٤/٢ .

٤ تفسير الجلالين : ٦٤٥ .

٥ البغوي : ٣٩٥/٨ . والنسفي :٣٤٨/٤ . والدر المنثور:الآية .

سياق الكلام وتستخلص من مقاصده . كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ السجدة : ٣٠ .

فأوله الرازي (استهزاءً)[1] بهم . وقوله تعالى : استهزاءً بحال الكافر المتكبر : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ الدخان : ٤٩ .

وعليه فنحن سنمضي في هذا الفصل مع هذه الألفاظ للسخرية ومع الأساليب التي وردت بها في القرآن الكريم ،أيضا.

١ تفسير الرازي : ٣٢١/١٢ .

الفصل الثاني

وسائل السخرية وأساليبها

يقول العالم حامد عبده الهوال : (وقد لا تعتمد السخرية على الكلمة بل تعتمد على ألوان وخطوط وظلال وأضواء كما في فن الرسم الساخر "الكاريكاتير")[1] . ويقول آخر : (أو تعتمد على الكلمة أو العبارة البسيطة أو على الصورة الكلامية مع التركيز على النقاط المثيرة فيها)[2] .

من هذا ــ المتقدم ــ يظهر لنا ــ أولاً ــ أن وسيلة السخرية الأولى هي الكلمة . والكلمة هذه تأتي بأشكال منها المباشر الصريح كقوله تعالى : ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ هود : ٣٨ . وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الأنعام : ١٠ .

ومنها غير المباشر ، وهذا ما يدخل في الأساليب .

ومن ذلك أن تأتي الكلمة في غير مكانها بشكل القلب والعكس في مثل قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ آل عمران:٢١ ، والانشقاق ٢٤ . ذلك أن البشرى تكون لأمر حسن يتلقاه الإنسان وليس بالعذاب . ومثله قوله

---

١ السخرية في أدب المازني : ص١٨ .

٢ السخرية في روايات بايتسير : ص٤٣ .

تعالى : ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨ ﴾ البقرة : ٢٦٨ . فأتت كلمة يعدكم الفقر استهزاءً بعمل الشيطان ، ذلك أن الوعد يأتي للإيجاب والخير كما في الآية نفسها: ﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ ﴾ .

وكما في آية الأنفال : ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ ﴾ : ٧ . بينما يأتي الوعيد بمعنى العذاب والسوء : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ١١٣ ﴾ طه : ١١٣ .

وكذلك تأتي السخرية بالصوت ، كما في قوله تعالى عن المشركين : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٥ ﴾ الأنفال : ٣٥ . فهذه الأصوات والتصفيق ما كانت إلا سخرية واستهزاء من الكفار بالمؤمنين . ويسخر القرآن الكريم من أصواتهم الجاهلة فيشبهها بالنعيق: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١ ﴾ البقرة :١٧١ .

وتأتي السخرية بالتبكيت، كما في قوله تعالى على لسان أهل الجنة لأهل النار : ﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ ﴾الحديد:١٣ ، وقوله تعالى :﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥ ﴾ الحج :١٥ ، وقوله تعالى:﴿ فَذُوقُواْ

بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ ۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ السجدة :١٤

وتأتي بالإشارة والحركة كما في قوله تعالى عن المشركين تجاه المؤمنين : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ المطففين :٣٠

وتأتي بالاستخفاف بعقول الكفرة بشكل مهين؛كما في قوله تعالى على لسان إبراهيم لقومه: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا ﴾ الأنبياء:٦٢

وتأتي بالاستخفاف بشكل عام ؛ كقول الكفرة: ﴿ أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ الأنبياء:٣٦ وقولهم :﴿ مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ ﴾ الجاثية: ٣٢ ٠ وقول الله تعالى في الكافرين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ لقمان :٢١ ٠

وتأتي بما يسمى في علوم البلاغة " تجاهل العارف" كقول إبراهيم عليه السلام للأصنام: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ الصافات:٩١ــ ٩٢

وتأتي (بالمدح في معرض الاستهزاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ الدخان: ٤٩

وتأتي بشكل من أشكال "الاشتقاق".ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[1] البقرة ٩٣

ــ ومنها التعريض بالمعنى ، كقوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤)** ﴾ سبأ

هذا في القرآن الكريم، وفي غير القرآن الكريم كثيراً ما نرى السخرية في الهجاء وفي غيره : ــ كالتنابز بالألقاب ــ كقول الأخطل يعير جريراً بأمه ، ويلقّبها بالمُراغة ــ وهي الأتان ــ ويرفقها بصورة ساخرة هازئة :

ولقد شددت على المراغة سرجها حتى نزعت وأنت غير حميد[2]

ومنها التعليل الساخر، كقول ابن الرومي[3] في رجل أحدب :

قصرت أخادعه وغاب قذاله فكأنه متربص أن يصفعا

وكأنما ضربت قفاه مرّةً فأحسّ ثانيةً لها فتجمعا

ــ ومنها اللعب باللفظ كقول النجاشي يهجو[4] :

وما سمّي العجلان إلا لقيلهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

وقول البهاء زهير في رجل اسمه صاعد :

---

١ خزانة الأدب وغاية الأرب ٢١٥/١

٢ ديوان الأخطل : ص٧٩ .

٣ موسوعة الأدب العربي / العصر العباسي الثاني : ص٣١٦ .

٤ ديوان المعاني : ١٧٧/١ .

قطع الله صاعداً وأباه فصاعداً

وبنيه فنازلاً واحداً ثم واحداً[1]

أو عكس اللفظ ، كقول الفكيك في ناصر الدولة الحمداني يذم بخله :[2]

ولئن غلطت بأن مدحتك طالبا جدواك مع علمي بأنك باخل

فالدولة الغراء قد غلطت بأن سمتك ناصرها وأنت الخاذل

وقول أحدهم رادًّا على صديقه (حين سأله : ماذا ولاه الأمير ؟ بقوله : ولاني قفاه)[3] .

ومن التعريض الساخر في الشعر (قول المتنبي يعرض بسيف الدولة وهو يمدح كافوراً :

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا[4]

ــ والكناية كقول الشاعر :

بيض المطابخ لا تشكو ولا ئدهم جلي القدور ولا غسل المناديل[5]

ــ ومنها المبالغة في الوصف الساخر والبعد عن الحقيقة فيرسم صورة هزلية مضحكة كقول الشاعر[6] :

---

١ ديوان البهاء زهير : ١٠١ .
٢ النوادر والطرائف ٥٩ .
٣ السخرية في أدب المازني : ص٤٣ .
٤ البلاغة الواضحة : ١٤٦/١ .
٥ البصائر والذخائر : ١٨٤/٧ .
٦ الحماسة : ٣٣٤/٢ .

ألا يا شبيه الدب مالك معرضاً وقد جعل الرحمن طولك في العرض

فأقسم لو خرت من استك بيضة

لما انكسرت من قرب بعضك من بعض

وكقول ابن الرومي ساخراً بابن حرب[1]:

لك أنف يا بن حرب أنفت منه الأنوف

أنت في القدس تصلي وهو في البيت يطوف

وقوله:[2]

يا صلعة لأبي حفص ممردة كأن ساحتها مرآة فولاذ

ترن تحت الأكف الواقعات بها حتى يرن بها أكناف بغداد

ومنها الاعتماد على المفارقة والمبالغة والمقابلة كقول أبي الفتح ، كشاجم في طبيب اسمه عيسى :[3]

عيسى الطبيب ترفق فأنت طوفان نوح

يأبى علاجك إلا فراق جسم لروح

شتان ما بين عيسى وبين عيسى المسيح

فذاك محيي موات وذا مميت الصحيح

وقول ابن الرومي يسخر من مغن:[1]

---

١ موسوعة روائع الشعر العربي / الهجاء في الشعر العربي : ص٤٩ .

٢ النوادر والطرائف ٢٨ .

٣ نفسه ٣١ .

أبو سليمان لا ترضي طريقته لا في غناء ولا تعليم صبيان

له إذا جاوب الطنبور محتفلا ضرب بمصر وصوت في خراسان

عواء كلب على أوتار مندفة في قبح قرد وفي استكبار هامان

وتحسب العين فكيه إذا اختلفا عند التنغم فكي بغل طحان

ومن ذلك أيضاً التركيز على جزئية سيئة أو قبيحة[٢] :

قوم إذا استنبح الضيفان كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار

وعن طريق عكس المعنى أيضاً يسخر جرير من الفرزدق[٣] :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع

وقول ابن الرومي[٤] :

فيا له من عمل صالح يرفعه الله إلى أسفل

وقد تظهر السخرية مُرة ، وذلك عن طريق خطاب من لا يعقل كقول الشاعر اللبناني أسعد رستم مخاطبا الطاعون وقد نزل بلبنان سنة ١٩٠٧ :[٥]

إن كان لا يجدي بك القانون فالحامض الفينيك والصابون

يا أيها الطاعون إن بلادنا منظومة ومناخها موزون

حتى جنابك جئت كي تقضي الشتا فيها فانت إذا لها مديون

---

١ النوادر والطرائف ٥٩ .

٢ المستطرف : ٣٧٨/١ . والبيت لجرير في قوم الأخطل .

٣ المثل السائر : ٣٨٠/٢ .

٤ نهاية الأرب في فنون الأدب ٧/ ١٤٨

٥ النوادر والطرائف ٤٥ .

أمن العدالة أن تقيم بأرضها ضيفا وتقتل أهلها يا دون

وقد تأتي السخرية وفق زعم وحلم يدعي بها صاحبها على لسان الموتى مالم يكن ، طبعا ، كقول أحد الشعراء الأندلسيين واسمه "السميسر" يذم والي غرناطة عبد الله بن بلقين :[1]

رأيت آدم في نومي فقلت له أبا البرية أن الناس قد حكموا

إن البرابر نسل منك قال إذاً حواء طالقة إن كان ما زعموا

وتأتي السخرية بتقليد ما هو جاد بما هو هازل ، ومن ذلك قول شيبة لأبي نواس : حدثنا عن ظرفك فقال مقلدا رواية أهل الحديث :[2]

حدثنا الخفاف عن وائل وخالد الحذاء عن جابر

عن مسقر عن بعض أصحابه يرفعه الشيخ إلى عامر

قالوا جميعا أيما طَفلة عُلقها ذو خلق طاهر

كانت لها الجنة مفتوحة ترتع في مرتعها الغامر

هذه بعض من أساليب السخرية تشير إلى سعة هذا الموضوع في الأدب والحياة بالإضافة إلى أهميته في القرآن الكريم. وهذا يستدعي منا أن نتعرف إلى السخرية عند العرب قبل الإسلام ، قبل دخولنا إليها في القرآن الكريم ٠

١ النوادر والطرائف ٤٦ ٠
٢ نفسه ٥٨ ٠

السخرية عند العرب قبل الإسلام

مع علمنا أن السخرية قد شملت أساليب كثيرة في الكلام وامتدت على مساحات واسعة من مجالات حياة الناس ؛ في جدهم ولهوهم كما في حزنهم وفرحهم ، وقولهم وحركتهم ؛ مع علمنا هذا ندرك أن السخرية قديمة مع الإنسان ، صحبتهم في هذه الأحوال لتخفف أو لتعنف دون اصطدام ، ولتعرف أو لتعرض دون إلزام، وهي مع العرب الجاهليين أولى؛ أولئك البلغاء الفصحاء الذين أتقنوا القول وفنونه ، فكانوا أسياد الأمم الأخرى في فهم القول وسداد قصده ، وكان منهم ــ لإدراكهم بتميّزهم هذا ــ أن سمّوا الذين لا يتقنون التعبير بلغتهم (أعاجم) .

ولهذه الميزة اللغوية عندهم فنحن سنجد السخرية فناً من فنون تعبيرهم البليغ، نجدها باباً جميلاً لطيفاً يدخلون به إلى معانيهم ومخاطبيهم ، ويعبرون به عن مقاصدهم ، إذ طالما دلت السخرية على التفوق العقلي ونضج الشخصية[1] .

ولا يغيب عن بالنا قول الأعشى ساخراً بخصمه[2] :

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

هذا البيت الشهير الذي أعطى فيه لنفسه ولقومه الثبات والرسوخ مع الزمن بينما يتخبط الآخر وينتحر .

---

١ السخرية في القرآن الكريم : ص٨ .

٢ المعلقات العشر : ١١٣ .

هذا بينما نجد زهيراً يسخر من الناس بمرارة مما تجنيه عليهم ويلات حربهم ، وذلك في قوله[1] :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرّجمِ

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم

إنها السخرية العقلية التي تضع المعني بها أمام عقله كاشفاً تصرّفه الخاطئ الخاص سواءً كان رابحاً الحرب أم خاسراً لها . وزهير هنا إذ يستخدم السخرية لا يستخدمها إلا لأنها الأقوى في إيصال فكرته الداعية إلى السلم والأبلغ في التأثير والنفاذ . إنها التفاتة رجل مجرب ومفكر ومخلص في خدمة فكرته في الدعوة للسلم لذلك يستلهم من فن السخرية أسلوباً معكوساً ينفذ به إلى عقول مخاطبيه .

ومن السخرية هذه الأبيات لقريط بن أنيف وهو يسخر بقومه وقد نسبت إلى العصر الجاهلي وأظنها أقرب إلى العصر الإسلامي[2] بلفظها ومعناها : قال[3] :

وإن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشرّ في شيء وإن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم بين جميع الناس إنسانا

إنه يسخر منهم سخرية بالغة لضعفهم وجبنهم وانخذالهم أمام الأعداء ولا يرى تبريراتهم بخشية الله من الظلم إلا خوراً و ذلة .

---

١ المعلقات العشر : ٥٩-٦٠ .

٢ وهذا ما قاله محقق الحماسة (هو شاعر إسلامي) : ص٩ .

٣ الحماسة : ٩ .

ونجد لامرئ القيس أبياتاً يسخر بها من معزى أعطيت له[1] :

ألا إن لم تكن إبل فمعزى كأن قرون جلتها العصيّ

إذا مُشّت حوالبها أرنّت كأن الحي صبّحهم نعيّ

فهذه المعزى لم تعجبه لأنه الملك وعطاؤه يجب أن يكون عطاء ملوك من الإبل وغيرها ، لا معزة يحلبها ؛ لذلك كانت هذه المعزى قرونها كالعصي وصوتها عند الحلب كالنعيّ .

ويقول المهلهل ساخرا من خصمه وقد أذاقه من بأسه كغيره (٢:)

من لم يكن قد شفى نفسا بقتلهم مني فذاق الذي ذاقوا من الباس

ويسخر عنترة من بني الجهيم وقد تركهم يفقدون صوابهم فيدورون حول أنفسهم من هول ضربته لهم :(٣)

تركت بني الجهيم لهم دوار إذا تمضي جماعتهم تعود

ويسخر النابغة الذبياني من عامر بن الطفيل فيقول [2] :

فإنك سوف تحلم أو تناهى إذا ما شبتَ أو شاب الغراب

وعمرو بن كلثوم يسخر من عمرو بن هند في مطلع قصيدته الشهيرة بعد أن قتله [3] :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا

وإنها لسخرية مرة ؛وقد أخبره اليقين وهو القتل!.

---

١ ديوان امرئ القيس : ١٦٥ . ٢:ديوان المهلهل:٤٥. ٣ : أسلوب السخرية في القرآن: ٣٩٠ .

[2] ديوان النابغة ص ٢٢

[3] المعلقات العشر معلقة عمرو بن كلثوم

ويقول عبد المسيح بن عسلة العبدي[1] :

فأما أخو قرط ولست بساخر فقولا له : يا اسلم بمرّة سالما

والمعنى :اسلم بمرة :أي اذهب به. هذا البيت إلى آخره سخرية وإن كان قد قال :ولست بساخر لأن مرة الذي يقول :اذهب به سالما هو مقتول)

ولكبشة أخت عمرو بن معد يكرب قولها في عمرو ، وقد جنح للتصالح مع قتلة أخيه ، فقالت ساخرة منه:[2]

(ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم ... وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم)

هذا ووردت السخرية عند الجاهليين بألفاظها أيضاً ــ كما وردت بأسلوبها ، كما تقدم .

وسبق قول عبد المسيح بن عسلة العبدي:

فأما أخو قرط ولست بساخر فقولا له : يا اسلم بمرّة سالما

ويقول حسان يحرض بني أبي البراء على عامر بن الطفيل[3] :

بني أم البنين ألم يرعكم وأنتم من ذوائب أهل نجد

تهكم عامرٍ بأبي براءٍ ليخفره وما خطأ كعمد

فحسان يظهر تهكم عامرٍ هنا بأبي براءٍ على أنه فعل شنيع ثقيل يجب أن يؤاخذ عليه .

وفي قصيدة عبد يغوث نجد ذكره للضحك الذي هو السخر[1] :

---

١ شرح اختيارات المفضل للتبريزي تحقيق قباوة : ٣/ ١٣١٠

[2] الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق سمير جابر . دار الفكر - بيروت ، ط٢ : ٢٢١/١٥

٣ أساس البلاغة : ٤٩٢/٢ .١

وتضحك مني كهلة عبشمية كأن لم تري قبلي أسيراً يمانياً

إنه يستنكر عليها سخريتها به لأنه ليس أوّل من أسر من اليمن وما يفعل هذا إلا لأنه يتأثر بهذا السخر .

ويقول عروة بن الورد لبخيل يهزأ بفقره[٢]:

أتهزأ مني أن سمنتَ وأن ترى بوجهي شحوب الحق والحق جاهد

فإني امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي إنائك واحد

ويهجو الأعشى علقمة بن علاثة مفضلا عامر بن الطفيل عليه فيقول[٣] :

علقمَ ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر

يا عجب الدهر متى سوّيا كم ضاحك من ذا وكم ساخر

ويعلق العالم شوقي ضيف على السخرية عند الأعشى فيقول : إنها (ذوق جاءه من طول اختلاطه بأهل الحضر ....

ولا نشك في أن هذا الذوق هو الذي جعله في أهاجيه ينحو نحو السخرية)[٤]

هذا بعض من سخر الجاهليين ..

---

١ خزانة الأدب : ص ١٧٦/٢ . وعبد يغوث الحارثي قال قصيدته هذه (بعد أن أسر في يوم الكلاب الثاني : كلاب تيم واليمن وقتل أسيراً) : المصدر نفسه ١٧١/٢ .

٢ ديوان عروة ص ٢٩ . ديوان عروة بن الورد والسموءل ٠ دار صادر / بيروت ٠ دون ذكر الطبعة والتاريخ ٠

٣ تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ص: ٣٥١ . العالم شوقي ضيف . دار المعارف . ط ٩ ـ ٢٠٠١

٣ : نفسه .

ظهر به معرفتهم بهذا الفن وتقديرهم لأثره وقوة سلطانه ؛ مما يمهد لنا الدخول إلى السخرية في القرآن الكريم بأطرافها وأهدافها وبلاغتها في القرآن الكريم وعند المسلمين ، وأثرها من بعد في الأدب العربي .

الباب الثاني

السخرية في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : أنواع السخرية

وفيه تمهيد و مبحثان :

١ــ السخرية المحرمة .

٢ــ السخرية المباحة .

الفصل الثاني :

تأثير القرآن الكريم في السخرية عند العرب بعد الإسلام.

الفصل الثالث: في نماذج أخرى من السخرية وفيه مبحثان :

المبحث الأول : صور أخرى من سخرية القرآن الكريم

المبحث الثاني : من سخرية الصحابة وعلماء الأمة السابقين

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريم ، القرآن العظيم المجيد ، قول الله تبارك وتعالى وبيانه ، أنزله على خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم ليكون خاتم كتبه ، نزل به الروح الأمين ، ليكون حجة للناس وحجة عليهم لا يبلى مع الدهر ، ولا تنقضي عجائبه و ﴿ إنه لقول فصل وما هو بالهزل ﴾ الطارق: ١٣-١٤ . نعم ﴿ إنه لقول فصل وما هو بالهزل ﴾ فكيف يستوي قولنا عن السخرية مع هذا القول الفصل وما هو بالهزل ﴾ .

يشير العالم عبد الحليم حفني إلى هذه النقطة بقوله : (... هي أن التعبير عن بعض الصور الساخرة التي ساقها القرآن الكريم مما سيأتي خلال البحث قد يتردد البعض في تصور نسبته إلى الله سبحانه وهنا نقول : إن القرآن بصفته ناطقاً بلسان المسلمين يجعل هذه الصورة كأنها صادرة عن المسلمين أو ممثلة لموقفهم ، ويركز القرآن على هذا المعنى أحياناً لأن في هذا التركيز هدفاً مقصوداً ، وهو أن القرآن في كل اتجاهاته يحشد كل أسلحته وطاقاته ليعزز مركز المسلمين ويدفعهم إلى النصر ، وفي الوقت نفسه يحكم مركز أعداء الإسلام ويدفع بهم إلى الهزيمة أو الشعور بها أو يتوقعها)[1] .

يبين العالم الحفني هنا أن القرآن الكريم لسان حال المسلمين فيه الدفاع عنهم والتنديد بأعدائهم لذلك تأتي السخرية .

إذاً فالسخرية في القرآن الكريم ــ التي هي من جانب المؤمنين ــ هادفة بهدفين أساسيين هما : **الدفاع عن المسلمين ، أو التنديد بأعدائهم ،هذا إلى**

١أسلوب السخرية في القرآن الكريم : ١١-١٢ .: العالم عبد الحليم حفني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ : ١٩٨٧ .

جانب كونها دعوة لهم للتبصر والتفكر وإعمال العقل للإيمان ، وهذا ما سوف أسميه بالسخرية المباحة .

أما السخرية المحرمة فهي تلك التي نهى عنها الله سبحانه بقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ الحجرات : ١١ .

وكما يبدو فهي التي تدور بين المسلمين أنفسهم على سبيل الانتقاص والإساءة أو تأتي من قبل الكافرين والمنافقين موجهة للمسلمين .

وسوف أمضي هنا فأفصل القول ــ بإذن الله ــ في كلٍ من هاتين السخريتين : **المحرمة والمباحة** .

المبحث الأول

السخرية المحرمة في القرآن الكريم وسلبياتها

وهي على قسمين:

١ــ السخرية بين المسلمين .

٢ــ السخرية من قبل الكافرين والمنافقين بالمسلمين .

أولاً ــ السخرية بين المسلمين :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَـٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَـٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

تأتي آية السخرية الشهيرة هذه، آية الحجرات ، تأتي بصيغة النهي مخاطَباً بها المؤمنون . وبالنهي هذا نعلم أن السخر ليس صفةً من صفات المؤمنين بل هو صفة مذمومة ينهى الله تعالى عنها عباده المؤمنين لذلك نجد الآية الكريمة انتهت بـــ ﴿ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَـٰنِ ﴾ و ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

هذا وليست هي الآية الوحيدة التي أبعدت عن السخر ، بل في القرآن الكريم آيات أخرى كثيرة نجد منها ما خاطب به بنو إسرائيل موسى عليه السلام عندما أمرهم أن يذبحوا بقرة بقولهم : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَـٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ البقرة : ٦٧ . فهم انتقموا لأنفسهم بالاستنكار إذ ظنوا أن موسى عليه السلام يهزأ بهم لأنه لا صلة ــ برأيهم ــ بين الكشف عن القاتل وذبح البقرة . ولكن موسى عليه الصلاة والسلام يرد مستنكراً هذا الوصف ؛ أن يكون ساخراً ويصفه صفةً من صفات الجهل فقال : ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَـٰهِلِينَ ﴾ ، (لأن الهزو في مثل هذا من

باب الجهل والسفه)[1] . و(هل هناك نبي يهزأ بتكليف من تكليفات الله تبارك وتعالى ، أينقل نبي الله لهم أمراً من أوامر الله جل جلاله على سبيل الهزل!)[2] .فالسخر هنا اتجه عند موسى عليه السلام إلى معنى الجهل ، وهو هنا (فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً وهذا الأخير هو المراد)[3] .

(وقد نفاه عليه السلام عن نفسه ... إذ الهزء في مقام الإرشاد كاد يكون كفراً وما يجري مجراه)[4] .

وفي آيات أخرى نجد الله تبارك وتعالى يستخدم النهي أيضاً عن الهزء والسخر يقول تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ﴾ البقرة : ٢٣١ .

إن الالتفاف على آيات الله سبحانه كي لا تطبق هو من باب الهزء والاستخفاف ، وقد قرن هذا بالاعتداء وظلم النفس . ونهي آخر نجده في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ المائدة : ٥٧ .

---

١ الكشاف : ١/٢٨٦-٢٨٧ .

٢ تفسير الشعراوي : ١/٣٩١ .

٣ تفسير الآلوسي ١/٣٥٧ . تفسير روح المعاني ، للعلامة محمود الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي / بيروت . ط٤ : ١٤٠٥ – ١٩٨٥ .

٤ المصدر نفسه .

ولقد ارتبط النهي هنا بالأمر بالتقوى للمؤمن الذي يريد الحفاظ على إيمانه .

ونهي آخر بشكل آخر يأتي في الآية الآتية : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ النساء : ١٤٠ .

أتى النهي هنا عن القعود مع الذين يكفرون ويستهزئون بآيات الله ومن يقعد فهو منافق وكافر؛ على سبيل الطي والنشر دون ترتيب ، أي الذي يكفر بآيات الله ويستهزئ بها فهو كافر ، والذي يقعد معهم فهو منافق ؛ أي كأنه استهزأ هو معهم أيضاً بدليل آية أخرى في التوبة وهي قوله تعالى : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ التوبة : ٦٤-٦٥ . فوصفهم هنا بالمنافقين .

هذه الآيات وآيات كثيرة معها ، سنقف معها بعد ، بإذن الله ، تظهر هذه السخرية المحرمة بطرفيها: السخرية بين المسلمين والسخرية من قبل الكافرين بالمسلمين ، ويظهر لنا وجه التحريم فيها بما وصف الله به هؤلاء المستهزئين من صفات النفاق والكفر والفسوق وظلم النفس .

ولا بد من تفصيل وتبيين جوانب كلٍّ من الطرفين وسلبياته :

ـ السخرية المحرمة بين المسلمين :

وهذه محور درسنا ، ومحور درسنا فيها الآية الكريمة التي تقدم ذكرها ؛ آية الحجرات : ١١ ــ بالإضافة إلى آيات أخرى معهاــ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَـٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَـٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ١١ ﴾ .

وسوف أقف مع هذه الآية بالتحليل والتفصيل :

١) سبب نزول هذه الآية :

وإننا نجد أسباباً لنزول هذه الآية ، فلكل جزء منها سبب ، بل روايات متعددة : (أخرج أصحاب السنن الأربعة عن أبي جبير بن الضحاك قال : كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكرهه فنزلت ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَـٰبِۖ ﴾[1] قال الترمذي حسن) .

(ولفظ أحمد عنه قال : فينا نزلت في بني سلمة ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَـٰبِۖ ﴾ قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا أحداً منهم باسم من تلك الأسماء قالوا : يا رسول الله إنه يغضب من هذا فنزلت)[2].

---

١ لباب النقول : ٢٩٨ . لباب النقول في أسباب النزول عبد الرحمن السيوطي / تحقيق : محمد الفاضي ، مركز أهل السنة ، بركات رضا / غجرات الهند ، ط١ : ١٤٢٥ – ٢٠٠٤ .

٢ المصدر نفسه .

وذكر الواحدي في أسباب نزول ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ﴾ الآية (نزلت في ثابت بن قيس بن شماس ، وذلك أنه كان في أذنه وقر ، فكان إذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع ما يقول فجاء يوماً وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطّى رقاب الناس ويقول : تفسّحوا تفسّحوا ، فقال له رجل : قد أصبت مجلساً فاجلس فجلس ثابت مغضباً فغمز الرجلَ فقال : من هذا ؟ فقال أنا فلان ، فقال ثابت : ابن فلانة ، وذكر أماً كانت له يعير بها في الجاهلية فنكّس الرجل رأسه استحياء ، فأنزل الله تعالى هذه الآية)[1] .

و(قال الضحاك : نزلت في وفد بني تميم ... استهزؤوا بفقراء الصحابة مثل عمار وخباب ... لما رأوا من رثاثة حالهم ، فنزلت في الذين آمنوا منهم)[2] .

وقال الواحدي في قوله تعالى : ﴿ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ ﴾ نزلت في امرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سخرتا من أم سلمة وذلك أنها ربطت حقويها بسبنية وهي ثوب أبيض ، وسدلت طرفها خلفها فكانت تجره . فقالت عائشة لحفصة انظري ما تجرّ خلفها كأنه لسان كلب ، فهذا كان سخريتها[3].

(وقال أنس : نزلت في نساء النبي عيّرن أم سلمة بالقصر ، وقال عكرمة عن ابن عباس إن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال

---

١ أسباب النزول للواحدي : ٢٧٩ .

٢ التفسير المنير : ٢٤٨/٢٦: العالم وهبة الزحيلي . دار الفكر المعاصر ــ دمشق ، ط٢ ، ١٤١٨ .

٣ أسباب النزول : ٢٧٩ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلا قلت إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد ، فأنزل الله تعالى هذه الآية)[1] .

وذكر البغوي أسباباً أخرى فقال في : ﴿ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ... ﴾ (نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم ، كانوا يستهزئون بفقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة لما رأوا من رثاثة حالهم فأنزل الله تعالى في الذين آمنوا منهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ﴾)[2] .

وقال ابن عطية (نزلت بسبب عكرمة بن أبي جهل ، وذلك أنه كان يمشي بالمدينة مسلماً فقال له قوم : هذا ابن فرعون هذه الأمة ، فعز ذلك عليه وشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)[3] .

وفي ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾ ذكر ابن عطية : (حكى النقاش أن كعب بن مالك وابن أبي حدرد تلاحيا ، فقال له كعب : يا أعرابي . يريد أن يبعده عن الهجرة ، فقال له الآخر يا يهودي ، يريد لمخالطة الأنصار اليهود في يثرب . فنزلت الآية)[4]

هذا وإنني إذ أورد هذه الأسباب إنما لنقف على الوجهة التربوية التي وجهتها الآيات وتوجهت بها إلى المؤمنين لدفع السلبيات التي بقيت من

---

١ نفسه .

٢ تفسير البغوي : ٣٤٣/٧: معالم التنزيل في التفسير والتأويل / لمحمد الحسين البغوي ، دار الفكر / بيروت . ط١ : ١٤٠٥ – ١٩٨٥ .

ومثله في تفسير الجلالين ، دار الوفاق : ٦٨٤ .

٣ تفسير ابن عطية : ١٤٩/٥ .

٤ نفسه : ١٧١/٦ .

الجاهلية في القوم ، ولتمحيص المجتمع المسلم وتقويمه . وهذا ما سنعود إليه بعد .

٢) الآية لغةً :

يا أيها الذين آمنوا : نداء للنكرة المقصودة "أي" يفيد مع الها الزائدة التعميم والإطلاق لكل المؤمنين .

لا يسخر : حرف جازم ومضارع مجزوم .

قوم : فاعل وهي (للذكور دون الإناث بشهادة قوله تعالى ... ﴿ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ ﴾)[١] .

وقال الزمخشري (وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والإناث فليس لفظ القوم للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث لأنهن توابع لرجالهن)[٢] . وقيل "قوم" قد تشمل الرجال والنساء معاً .

عسى أن يكونوا خيراً منهم :

عسى هنا تامة (لا خبر لها)[٣] والفاعل المصدر المؤول . (وفي قراءة عبد الله عسى أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى على هذه القراءة هي ذات

---

١ الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٦٦٤/٥ . للعلامة : المنتخب الهمذاني / تحقيق : محمد نظام الدين الفتيح ، مكتبة دار الزمان /السعودية ــ المدينة المنورة ، ط١ : ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦

٢ الكشاف : ٥٦٥/٣ .

٣ نفسه : ٥٦٦/٣ .

الخبر)[1] وهي تفيد الـــ (تعليل للنهي)[2] و(كلام مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه)[3] .

﴿ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ ﴾ :

نساء : اسم جمع لا مفرد له والمفرد من غير لفظه امرأة . و(قيل: أفرد النساء بالذكر لأن السخرية منهنّ أكثر)[4] .وقال صاحب التنوير والتحرير ــ رحمه الله ــ (وخص النساء بالذكر مع أن القوم يشملهم بطريق التغليب العرفي في الكلام كما يشمل لفظ "المؤمنين " المؤمنات في اصطلاح القرآن الكريم بقرينة مقام التشريع فأن أصله التساوي في الأحكام إلا ما اقتضى الدليل تخصيص أحد الصنفين به دفعا لتوهم تخصيص النهي بسخرية الرجال إذ كان الاستسخار متأصلا في النساء؛ فلأجل دفع التوهم الناشئ من هذين الشيئين على نحو ما تقدم في قوله من آ ية القصاص ﴿ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ ﴾ في سورة العقود.) ٢٦/ ٢٤٧ .

ولا تلمزوا : مضارع مجزوم بلا الجازمة الناهية . واللمز : أي لا تعيبوا . أنفسكم: أي عيبك أخاك يجر عليك العيب منه فصار كأنك عبت نفسك . أو (لا يعب بعضكم بعضاً بقول أو إشارة لأن المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنه عاب نفسه فضمير "تلمزوا" للجميع بتقدير مضاف)[5] .

---

١ نفسه .

٢ روح المعاني : ١٥٢/٢٦ .

٣ الكشاف : ٥٦٥/٣ .

٤ فتح القدير : ٦٤/٥ . . فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني / عالم الكتب (مسقط) .دون ذكر الطبعة والتاريخ

٥ روح المعاني : ١٥٣/٢٦ .

(والفرق بين السخرية واللمز : أن السخرية : احتقار الشخص مطلقاً على وجه مضحك بحضرته ، واللمز : التنبيه على معايبه ، سواء أكان على شيء مضحك أم غيره ، وسواء أكان بحضرته أم لا وعلى هذا يكون اللمز أعم من السخرية ويكون من عطف العام على الخاص لإفادة الشمول)[1] .

وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ : النبز : التلقيب .

يقال : نبزه ينبزه نبزاً : أي لقّبه . والتنابز : التعاير والتداعي بالألقاب[2] . وخص ،عرفاً ، بما يكرهه الشخص من الألقاب[3] وأتت صيغة "تنابزوا" تفيد المشاركة والمبادلة في التنابز لأنه (لا يعجز كل واحد من الإتيان به)[4] . أما اللمز فجاء بصيغةٍ مفردةٍ دون معنى المشاركة والمبادلة (لأن اللماز إذا لمز فالملموز قد لا يجد فيه في الحال عيباً يلمزه به)[5] . وأصل لا تنابزوا : لا تتنابزوا. حذفت إحدى التاءين تخفيفاً .

﴿ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ ﴾ :

(أي بئس الاسم : أن يقول : يا يهودي : ويا فاسق بعدما آمن وتاب . وقيل معناه إن من فعل ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق . بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق)[6] .

---

١ التفسير المنير : ٢٥٣/٢٦ .

٢ عن القاموس المحيط مادة نبز .

٣ روح المعاني : ١٥٥/٢٦ .

٤ التفسير الكبير : ١٣٣/٢٨ . / للفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي / بيروت . ط٣ : دون تاريخ .

٥ نفسه .

٦ معالم التنزيل في التفسير والتأويل : ٢٠٣/٥ .

والمعنى الثاني أقوى بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ فوصف من يفعل ذلك بأنه ظالم[1] . واللفظ "مَن" و"يتب" مفرد ويدل على كل واحد ذكراً أو أنثى لذلك أتت صيغة الجمع ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ .

وذكر الألوسي في معنى ﴿ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ ... ﴾ أن الاسم : الذكر ، فيصبح المعنى (بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب التنابز أن يذكروا بالفسق بعد اتصافهم بالإيمان)[2] .

وقيل عن "بعد" ها هنا بمعنى "مع" ومعناه : (بئس الاسم الفسوق مع الإيمان)[3].

وقال صاحب المنير في ﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ : (أي ومن لم يتب عما نهى الله عنه من الأمور الثلاثة ، السخرية واللمز والتنابز بالألقاب ، فهو من الظالمين بل هم لا غيرهم الظالمون أنفسهم بسبب العصيان بعد الطاعة وتعريض النفس للعذاب)[4] . وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير : (وإذا كان كل من السخرية واللمز والتنابز معاصي فقد وجبت التوبة) ٢٦ / ٢٥٠ .

٣) الآية معنى :

---

١ نجد هذا الترجيح عند الطبري في تفسيره : المجلد ٢١٩/٢١ .دار الفكر

٢ تفسير الآلوسي روح المعاني: ١٥٥/٢٦ .

٣ تفسير السمعاني : ٢٢٤/٥ . : لأبي المظفر ، منصور بن محمد السمعاني . تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن : الرياض ، دون طبعة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ .

٤ التفسير المنير : ٢٥٤/٢٦ .

قال الثعالبي : (هذه الآية والتي بعدها نزلت في خلق أهل الجاهلية ، ذلك أنهم كانوا يجرون مع شهوات نفوسهم لم يقومهم أمر من الله ونهي فكان الرجل يسخر ويلمز وينبز بالألقاب ، ويظن الظنون ويتكلم بها ، ويغتاب ، ويفتخر بنفسه إلى غير ذلك من أخلاق النفوس البطالة فنزلت هذه الآية تأديباً لهذه الأمة ، وروى البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام : عرضه وماله ودمه" التقوى ها هنا ، بحسب امرئ من الشر أن يحتقر أخاه المسلم ")[1] .

وقال صاحب الظلال ــ رحمه الله ــ : (إن المجتمع الفاضل الذي يقيم الإسلام بهدي القرآن مجتمع له أدب رفيع ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس وهي من كرامة المجموع ، ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس لأن الجماعة كلها واحدة كرامتها واحدة . والقرآن في هذه الآية يهتف للمؤمنين بذلك النداء الحبيب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وينهاهم أن يسخر قوم من قوم ... وفي التعبير إيحاء خفي بأن القيم الظاهرة التي يراها الرجال في أنفسهم ويراها النساء في أنفسهن ليست هي القيم الحقيقية التي يوزن بها الناس ، فهناك قيم أخرى قد تكون خافية عليهم يعلمها الله ويزن بها العباد ...

والقرآن لا يكتفي بهذا الإيحاء بل يستجيش عاطفة الأخوة الإيمانية ، ويذكر الذين آمنوا بأنهم نفس واحدة من يلمزها فقد لمزها : ﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ واللمز : العيب ولكن للفظة جرساً وظلاً ، فكأنما هي وخزة حسية لا عيبة معنوية ...

---

١ تفسير الثعالبي : ٥/٢٧١-٢٧٢ . : الجواهر الحسان في تفسير القرآن لــ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي . تحقيق : علي محمد معوض

والآية بعد الإيحاء بالقيم الحقيقية في ميزان الله ، وبعد استجاشة شعور الأخوة ، بل شعور الاندماج في نفس واحدة تستثير معنى الإيمان ، تحذر المؤمنين من فقدان هذا الوصف الكريم والفسوق عنه والانحراف بالسخرية واللمز والتنابز: ﴿ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ ﴾ فهو شيء يشبه الارتداد عن الإيمان وتهدد باعتبار هذا ظلماً ، والظلم أحد التعبيرات عن الشرك : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ .. وبذلك تضع قواعد الأدب النفسي لذلك المجتمع الفاضل الكريم)[1] .

ويجمل المراغي ــ رحمه الله ــ معنى الآية رابطاً إياه بما قبله من المعاني فيقول: (بعد أن ذكر ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن مع الله تعالى ومع النبي صلى الله عليه وسلم ومع من يخالفهما ويعصيهما وهو الفاسق ، بيّن ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن مع المؤمن ، فذكر أنه لا ينبغي أن يسخر منه ولا أن يعيبه بالهمز واللمز، ولا أن يلقبه باللقب الذي يتأذى منه فبئس العمل هذا ، ومن لم يتب بعد ارتكابه فقد أساء إلى نفسه وارتكب جرماً كبيراً)[2] .

٤) الآية حكماً :

وأعني الحكم الشرعي للآية بما فيها من نهي وذم .

تفيدنا كتب الأصول أنه لا يصرف النهي عن التحريم إلا لقرينة ؛ فهو محرّم حيثما ورد ، دون قرنية صارفة .

---

١ الظلال : ٣٣٤٥/٦ . / للسيد قطب ٠ دار المعرفة ــ بيروت ٠ ط٧ ــ ١٣٩١/ ١٩٧١ ٠

٢ تفسير المراغي : جزء ١٣٣/٢٦ .

قال العالم محمد الزحيلي : (إن دلالة النهي حقيقة ، وهي موجَبُه الأصلي ، أنها للتحريم أي لطلب الترك طلباً جازماً نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ الأنعام : ١٥١ ، فالقتل حرام . ونحو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ الإسراء : ٣٢ . فالزنا حرام ... وفي هذه الحالة لا تحتاج الصيغة إلى قرينة لأن النهي موضوع لغة للدلالة على طلب الترك على وجه الحتم)[١] .

وفي شعب الإيمان قال : (اشتملت هذه الآية على تحريم الاستهزاء والسخرية وتحريم اللمز)[٢] . وقال : (إن ظن القبيح بالمسلم كهمزه ولمزه والسخرية والهزء به نهى عنه وأخبر أنه آثم)[٣] .

وقال عبد الوهاب خلاف عن النهي في الآية : (النهي للتحريم)[٤] . وقال صاحب التحرير والتنوير : (ويفهم منه النهي عن أن يسخر أحد من أحد بطريق لحن الخطاب وهذا النهي صريح في التحريم) ٢٦/ ٢٤٧ .

غير أننا نجد في تفسير الفخر الرازي رحمه الله قوله : (أن السورة للإرشاد بعد إرشاد ، فبعد الإرشاد إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن مع الله تعالى ومع النبي صلى الله عليه وسلم ومع من يخالفهما ويعصيهما وهو

---

١ علم أصول الفقه : ٢٣٦-٢٣٧ . : لـــ العالم محمد الزحيلي ، دار القلم / دبي ، ط١ : ٢٠٠٤ .

٢ شعب الإيمان : ٢٩٤/٥ ٣ نفسه .

٤ علم أصول الفقه : ١٣/١ . عبد الوهاب خلاف ، مكتبة الدعوة ــ شباب الأزهر / عن الطبعة الثامنة لدار القلم ، دون تاريخ

الفاسق ، بيّن ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن مع المؤمن)[1] . آخذاً بالمعنى العام للآية .

وقال صاحب التفسير المنير : (فهذا حرام قطعاً)[2] . ويظهر من وصف الله سبحانه لهذا الصنف من الناس "بالظلم" هو منتهى التبشيع لذلك الفعل والرغبة في الابتعاد عنه وما دامت العقوبة هذه فهي دليل من أدلة التحريم .

أما تفسير الهواري (الإباضي) فهو يشير إلى أن الظلم هنا هو (ظلم نفاق وليس ظلم شرك)[3] .

ولنا دليل آخر في التحريم من قوله صلى الله عليه وسلم : (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا)[4] . ونتيجة: يظهر أن النهي للتحريم في الآية يلحق بمن يفعله الإثم .

---

١ تفسير الرازي : ١٣١/٢٨ .

٢ التفسير المنير : ٢٥١/٢٦ .

٣ تفسير الهواري : ٦١/١ شاملة .

٤ نصب الراية : ٣٢٤/٤ . نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشية بغية الألمعي / جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي . تصحيح : عبد العزيز الديونبدي . تحقيق : محمد عوامة . نشر : مؤسسة الريان ــ بيروت / ودار القبلة ــ جدة . ط١ : ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .

٥) الآية : الجوانب التربوية في الآية والسلبيات التي دفعت عنها :

أظنني هنا مع عنوان كبير ــ وإن كان فرعياً ــ ذلك أنه المقصود الأكبر من رسالتي هذه ، إنه الجوانب التربوية ، والسلبيات في السخرية . فكيف سيظهر لنا هذا في هذه الآية ؟.

وكنا قد قدمنا لها بأسباب نزولها ، فلنا في هذه الأسباب كشف لبعض هذه الجوانب التربوية القيمة التي يجب أن يتحلّى بها المجتمع المسلم .

ففي السبب الذي أورده الواحدي ــ وغيره ــ عن نزول الآية هو قول ثابت بن قيس بن شماس للرجل (من هذا ؟ فقال : أنا ابن فلان ، فقال ثابت : ابن فلانة ، وذكر أماً كانت له يعير بها في الجاهلية ، فنكس الرجل رأسه استحياء ، فأنزل الله تعالى هذه الآية)[١] .

في هذا السبب نلحظ أن بعضاً من مساوئ الجاهلية ما زال باقياً في المسلمين يقع فيه بعضهم ويجنح عن هدي الإسلام بعلم أو دون علم . فيأتي قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ معلماً المسلمين الخلق الحسن والتربية الصحيحة ، وهو (الأدب الأول)[٢] في الآية ؛ ذلك أن مجتمعاً يقصد أن يكون سليماً يجب أن يخلو من هذا الداء ؛ داء السخرية ، لما تثيره هذه السخرية من سلبيات تفتت عرى المجتمع وتثير النقمة والبغضاء في النفوس ، بل تعيده إلى حالة من حالات

---

١ أسباب النزول للواحدي : ٢٧٩ .

٢ تفسير الأساس : ٩/ ٥٤١٣ . الأساس في التفسير : سعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع في القاهرة وحلب وبيروت ، الطبعة١ – / ١٤٠٥ – ١٩٨٥ .

جاهليته . إنها مسألة خطيرة إذاً ، خطيرة على المجتمع المسلم وخطيرة على الفرد في إيمانه؛ إذ يجب ألا يجتمع إيمان وسخرية في آن ، لذلك كان الخطاب : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ ﴾ تذكيراً لهم بإيمانهم الذي يجب أن يحول بينهم وبين هذه الصفة الذميمة ألا وهي السخرية .

ولو أردنا أن نفصل في هذه الجوانب السلبية للسخرية على نطاق المجتمع المسلم والفرد المسلم لوجدنا التالي :

١ــ نجد أولاً هذه العودة إلى حالة من حالات الجاهلية العمياء عن الهدي والصواب ، إنها عودة إلى الخلف وهدم لبناء يقيمه الدين ، نعم والهدم أشد وأخطر على الدين من الكافرين المعاندين ، لما له من تضييع لجهود بذلت وتربية تحققت، وآمال عقدت . وإن الإسلام أتى ليقطع الصلة تماماً مع الجاهلية فكيف أن يعود إليها المسلمون الآن ، فيمدوا جسوراً نحو الهاوية ؟!

وعلى حالة مثلها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر ــ وقد عيّر أبو ذر بلالاً بأمه السوداء ــ : (يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية)[١] . وقد أورد هذا الحديث البخاري تحت (باب المعاصي من أمر الجاهلية)[٢] . بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم تأكيداً منه على إبعاد الناس عن هذه العقلية الجاهلية ، وتلك المفاهيم الخاطئة ربما امتحن بعض أصحابه ليظهر قيم الإسلام ، وليدفع بالمسلمين عن الجاهلية السوداء تلك ، وحرصاً منه صلى الله عليه وسلم (عمل على تربية المسلمين تربية عملية تحررهم من سلطان هذه المفاهيم على نفوسهم ومشاعرهم)[٣]

---

١ صحيح مسلم : ١٢٨٢/٣ . صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج القشيري ، دار إحياء التراث العربي / بيروت. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . دون ذكر الطبعة والتاريخ

٢ صحيح البخاري : ١٩/١ .

٣ أسس الأخلاق الإسلامية: ص٧٥١ .

(فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي قال : مرّ رجلٌ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس : (ما رأيك في هذا ؟) فقال : رجلٌ من أشراف الناس ، هذا والله حريٌّ إن خطب أن يُنكح وإن شفع أن يشفّع . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم مرّ رجلٌ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما رأيك في هذا ؟)

فقال : يا رسول الله هذا رجلٌ من فقراء المسلمين ، هذا حريٌّ إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفّع ، وإن قال أن لا يُسمع لقوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(هذا خير من ملء الأرض مثل هذا) .

أي هذا الذي تقول في شأنه بحسب مقياسك المادي ما تقول من نزول في قيمته الاجتماعية ، هو خير من ملء الأرض من مثل ذلك الرجل الذي عظمت من شأنه وقدره بين الناس .

فصحّح الرسول صلى الله عليه وسلم نظر الرجل إلى الأمور ، ووجهه ضمناً للمقياس الحقيقي الذي تقاس به الفضائل ، وتقوّم به أقدار الناس ، بعد أن امتحن مدى تأثير المفاهيم الإسلامية في هذا المجال على نفسه . ورأى أنه لم يستطع أن يتحرّر من المفاهيم غير الإسلامية ، ذات السلطان القوي على نفوس الناس بحكم العادات والتقاليد ، وبتأثير المظاهر الخادعة ، وتعلق النفوس بزينة الحياة الدنيا .

وقد أبان الرسول صلى الله عليه وسلم أن قيم الحياة الدنيا ومفاهيمها الخاصة بها تتلاشى عند الله يوم القيامة ، فلا جاه يومئذ من جاه الدنيا ولا نسب ، ولا مال ولا نشب ، ولا مناصب ولا وزارات ، ولا ملك ولا إمارات

، ولا جبّارون ولا طغاة، ولا متكبرون ولا عتاة ، ولكن إيمان وتقوى وعمل صالح وإخلاص في ابتغاء مرضاة الله)[1] .

٢ــ ونجد هذا التفتيت للروابط الأخوية التي دعا إليها الإسلام ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ذلك أن (المستهزئ غرضه طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به)[2] . فالمسخور منه يأبى أن يقبله مما يؤدي إلى العداء والضغينة لا التآخي والمساواة الذين تتطلبهما التربية الإسلامية ، لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر، عندما عيّر بلالاً بأمه ، مبيّناً مكانة من هم مثل بلال : (نعم هم إخوانكم)[3] .

إن حرص الإسلام ــ في تربيته ــ على هذه الإخوة يبعد هذا الخلق الذميم الذي هو السخرية . ولقد أكد القرآن على هذه الإخوة بأسلوب توكيدي حصري : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .. وقال صلى الله عليه وسلم : (المسلم أخو المسلم، لا يخونه ، ولا يكذبه ، ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام : عرضه ، وماله ، ودمه . التقوى ها هنا ــ أي في القلب ــ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)[4] .

وواضح التوجيه النبوي هنا : أن لا يحقر المسلم أخاه المسلم مبيّناً الأخوة أيضاً لا التنافر والبغضاء كما في حديث مشابه عند مسلم : (لا تحاسدوا ولا تفاحشوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بعض وكونوا عباد الله إخوانا ...)[5].

---

١ نفسه : ٧٥٢ .

٢ الكشاف : آية ١٤ من البقرة .

٣أسس الأخلاق الإسلامية : ٧٥٠ . عبد الرحمن حسن حبنكة ، دار القلم / دمشق ط٥ /١٤٢٠ــ ١٩٩٨.

٤ أخلاق المسلم : ٥٢ .(كنز العمال ، ج١٦٥/٢٤.

٥ نفسه .وهو في صحيح مسلم برقم ٢٥٥٩ . وعند البخاري في باب ماينهى عن التحاسد والتدابر

ويقول الشيخ الغزالي (ومما يمزّق أواصر الأخوة التهكم والازدراء والسخرية من الآخرين . إن هذه الأخلاق تنشأ عن جهالة سادرة وغفلة شائنة . فإن حق الضعيف أن يُحمل لا أن ينال منه ، ومن حق الحائر أن يرشد لا أن يضحك عليه، وإذا وجدت بشخص عاهة أو عرضت له سيئة فآخر ما يتوقع من المسلم أن يجعل ذلك مثار تندره واستهزائه)[1] .

٣ــ ومن ثم فهي إثارة لأحقاد وضغائن في مجتمع ليس بعيداً عن الجاهلية وعصبياتها ، وأيامها السوداء بين القبائل . ونجد ذلك في مواقف كثيرة ، ألم يقل ذاك ساخراً من بني العجلان[2] :

قبيلة لا يغدرون لأمةٍ ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء إلا عشيةً إذا صدر الوراد عن كل منهل

ليظهر ضعفهم عن مقارعة القبائل ومواجهتها بالظلم فذلك يدعو إلى السخرية عنده. نعم فهاجت تلك القبيلة وضجّت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاكية إيّاه . وعندما حكّم عمر حساناً فحكم على النجاشي بالاعتداء على بني العجلان في شعره قال عمر للنجاشي : (إن عدت قطعت لسانك)[3] دفعاً لهذه الفتن والمساوئ.

ولننظر إلى هذه الإثارة من شاعر يسخر متناهياً في احتقار قوم اسمهم (الأشاقر)[4]: قالوا الأشاقر تهجوهم فقلت لهم

ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا

---

١ خلق المسلم : ١٥٩ .

٢ البيتان للنجاشي يهجو بني العجلان زمن عمر رضي الله عنه "ديوان المعاني" : ١٧٦/١ .

٣ ديوان المعاني : ١٧٧/١ . : أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري دار الجيل / بيروت ، دون طبعة .

٤ ديوان المعاني : ١٧٧/١ .

قوم من الحسب الزاكي بمنزلة كالفقع بالقاع لا أصل ولا ورق

إن الأشاقر قد حلوا بمنزلة لو يرهبون بنعل عندنا علقوا

لا يكثرون وإن طالت حياتهم ولو تبول عليهم فأرة غرقوا

ألا يشكل هذا قلقاً في المجتمع الإسلامي الآمن ؟! هذا وقد رأينا الصحابة رضوان الله عليهم تثور بهم عصبيتهم أحياناً ، وهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ أما كان من ذلك في غزوة بني المصطلق ؟! قال جابر بن عبد الله الأنصاري (كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار . فقال الأنصاري : يا للأنصار . وقال المهاجري : يا للمهاجرين . فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما بال دعوى الجاهلية ؟!)[1] . وفي سيرة (أبو شهبة): (فاجتمع الفريقان وكادوا يقتتلون)[2] . ولقد نهانا الله سبحانه عن هذه النزعات حرصاً على هذا الترابط والوفاق فقال : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الإسراء : ٥٣ .

وقال ابن عطية : (إن سياق الآيات ــ في الحجرات ــ بعدها ينصب على الجانب التربوي لينتزع منهم أخلاق الجاهلية المتأصلة في نفوسهم . فسياق الآيات في التربية والتوجيه)[3] .

٤ــ ومن ثَم فهي خروج عن ضوابط الإسلام وأحكامه في المجتمع ما دامت محرمة . هذا المجتمع الذي ارتقى بضوابط الإيمان وتنقّى بروحه ،

---

١ السيرة النبوية للصلابي : ٢٠٤ . : للعالم محمد علي الصلابي ، المكتبة العصرية : صيدا ــ لبنان. ط١ : ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ .

٢ السيرة النبوية لأبي شهبة : ٢٥٤/٢ . : للعالم محمد بن محمد أبو شبهة . دار القلم / بيروت ، ط٣ : ١٤١٧ هـ ١٩٩٦

٣ المحرر في أسباب نزول القرآن : ٩٢٧/٢ .

فصار فيه المسلم (منضبطاً بضوابط الشريعة في جزئيات حياته من أخلاق وعادات ونوم واستيقاظ وطعام وشراب وزواج وطلاق وبيع وشراء ...)[1] . أينحدر مع هذه السخرية فينتقص في دينه ؟! ولو شاعت لأهلكت الحرث والنسل .

لا شك أن ضوابط التربية الإسلامية تنأى عن هذا المروق المنهي عنه تحريماً في القرآن لبناء المجتمع المسلم القويم ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ ﴾ الحج : ٣٠ .

وإذا كانت الفكرة بناء للحضارة الإسلامية المثلى فـــ (لا غرو أن التربية من وسائل بناء الحضارة الإسلامية بناءً واقعياً على أسسها الفكرية الراسخة)[2] .

(هذه التربية الإسلامية التي قام عليها أول الأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلاميذ مدرسته التاريخية من بعده)[3] .

وإذا كان (تقويم الحضارة يرتبط بمدى ملاءمتها لعبادة الله)[4] فإن هذه الحضارة يجب أن تسلم من أواذٍ مهلكة كالسخرية هذه ، ويجب أن ينجو سلوك أبنائها من هذا الوباء ، ولا شك أن السخرية علامة نقص في الدين وخلل في التربية الإسلامية في الإنسان الساخر ، وعلى العكس إن من كان

---

١ المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى.ص٦٣ . العالم أكرم ضياء العمري . منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، المجلس العلمي / مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي (١٠) . دون طبعة وتاريخ .

٢ أسس الحضارة الإسلامية : ٣٥٥ .

٣ نفسه : ٣٥١ .

٤ المجتمع المدني في عهد النبوة : ٢١ .

صادقاً في خلقه مع الناس صدقاً واحتراماً وأمانة فهو أولى أن يكون ذا خلق رفيع مع الله الذي خلقه وأكرمه وسواه وقوّمه وأولى أن يكون له طائعاً عابداً مؤمناً مستقيماً .

٥ــ ومن ثم ففي النهي عن السخرية نجد تقويماً لتربية معوجّة ولسلوك منحرف عن فطرته وسويته ، لأن السخرية انتقاص واستخفاف وزراية ولا يأتي هذا من سويّ . فــ(الذي يسخر بالناس ويستصغرهم يدل على نقص فيه وكلما سخر من الناس سخروا منه وسقط من أعين الناس :

ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا)[١]

ولأن النبي صلى الله عليه وسلم (قد اهتم بتربة الإنسان منذ ولادته إلى آخر عهد له في الدنيا)[٢] فما كان هذا ليستهان به في شرع الإسلام . وحسبنا في النبي الكريم قدوةً الذي قال : (أدّبني ربي فأحسن تأديبي)[٣] .

(والتربية الإسلامية تربية دائمة ومستقرة)[٤] لذلك (فالإسلام يريد من المسلم أن يكون رحيماً شفيقاً مؤدباً يعطي الإنسانية حقها ، ولا ينسى إنسانيته)[٥] .

٦ــ وكما وجدناها نقصاً في الإنسان الساخر فهي سقوط لشخصه واستهانة به :

ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا[٦]

---

١ من الآداب والأخلاق الإسلامية : ص٢٥٩ .

٢ نفسه : ص١٤٠ .

٣ كنز العمال : ١٥٧/١٠ .

٤ من الآداب والأخلاق الإسلامية : ص١٤٠ .

٥ نفسه : ص١٦٧ .

٦ من الآداب الإسلامية : ص٢٥٩ .

إن الساخر هنا يفقد قيمته التي يمتلكها ، وتسفُّ به السخرية فيسقط قدره وقيمته . وهذا ينطبق على جميع العيوب الخُلقية فهي تزري بالإنسان . ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : (ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين) ليدل على كمال النبي ــ أي نبي ــ وبُعده عن النقائص . والعيب نقيصة وحسبك به في الساخر .

والشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة رحمه الله يقدم لنا إجمالاً لمثالب كثيرة تنطوي عليه السخرية فيقول[1] : (إن الإنسان حينما ينفخ في نفسه الغرور ، فيرى أنه كبير عظيم ، ويرى غيره من الناس أصغر منه وأقل شأناً ، فإنه يشعر نحوه بنوع من الاستعلاء ، وهذا الشعور يجعله يترفع عن الذين يستصغرهم ، فإذا أحوجته الظروف الاجتماعية إلى التّماسّ معهم ، فإنه يجد نفسه مدفوعاً إلى إبراز استعلائه عليهم بأنانية مستكبرة ، وهنا يعبث الشيطان بنفسه ، أو تعبث نوازع الكبر ، فيحاول أن يتصيد أي شيء لتحقيرهم وتصغيرهم في المجتمع الذي أحوجه إلى التماسّ معهم ، أو المشاركة لهم في قول أو عمل أو أي مجالٍ من المجالات ، فإذا ظفر بعيب في الجسم ، أو بعيب في القول ، أو بنقصٍ في الرأي ، أو بمخالفة للمعتاد في الحركة أو المشي أو اللباس ، أسرع إلى لفت الأنظار إليه والاستهزاء به والسخرية منه ، وإذا لم يظفر بشيء من ذلك حاول أن يتصيد من أسمائهم أو ألقابهم ما يكون مثاراً للهزء والسخرية ، فإذا لم يظفر بشيء من ذلك تصنع مثيرات الهزء والسخرية تصنعاً دون أي أساس لها من الواقع ، كل ذلك يفعله ظلماً وعدواناً إرضاء لاستكباره واستعلائه بنفسه .

وقد يلتقي مع دافع الكبر لوجود ظواهر الاستهزاء والسخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب ، دوافع أخرى ، كالحسد ، والحقد والعداوة أياً كان سببها الرغبة بالضحك والتسلية ، والشعور بالنقص .

---

[1] الأخلاق الإسلامية ٢/٢٣٤ ـ ٢٣٥

وقد توجد هذه الظواهر بتأثير دوافع غير دافع الكبر ودون أن يكون دافع الكبر مشاركاً لها).

فيظهر قول الشيخ حنبكة نقائص أخرى تظهر في الساخر عند سخريته من الآخرين **كالحسد والحقد والعداوة والكبر وحب التسلية** ، هذه المثالب في معظمها لا نجدها بين المسلمين بل بين المنافقين للمسلمين ، وإن هذا من أمراض القلوب، وهذه كلها تتعارض مع خلق المسلم وما ينبغي عليه أن يكون ، وبهذا تظهر السخرية آفة تأكل كثيراً من مُثُله ، كما أنها تدفع به للكثير من النقائص وتكشف عن عيوب كثيرة فيه . كما أنها تذهب بمظهر الهيبة والوقار الذي ينبغي أن يتحلى به المسلم (وقد علّمنا القرآن التزام السكينة والوقار وجعل ذلك من صفات عباد الرحمن فقال الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ الفرقان : ٦٣)[1] .

٧ــ كما أننا نجد في السخرية فلتة من فلتات اللسان المهلكة التي نهى عنها الشرع وحذر منها أي تحذير وذلك (هل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم)[2] وإنه لحديث .

وحسبنا في قول الله عز وجل ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾ ﴾ ق : ١٨ . والمسلم في قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من سلم المسلمون من لسانه ويده)[3] (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً أو

---

١ أخلاق المسلم : ١٨٨ .

٢ الاستذكار : ٥٦٩/٨ . وشعب الإيمان ٣ /٣٨

٣ أخلاق المسلم للزحيلي : ٣٠٦ . متفق عليه .

ليصمت)[1] . وقال صلى الله عليه وسلم : (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)[2] .

هذه الآيات والأحاديث ، وغيرها كثير، تظهر مدى اهتمام الإسلام بتقويم سلوك الإنسان ومن ثم ليمسك عليه لسانه كي لا يضل ولا يشقى أو لا يُضل ولا يُشقي ؛ لأن فلتة لسان كهذه متعدية إلى غيرها في المجتمع ، تحرك نوازع الشر والعدوان. قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ الآيات : ٢٤-٢٥-٢٦ــ٢٧ من سورة إبراهيم .

ولقد قال صلى الله عليه وسلم : (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ، يزلّ بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب)[3] .

ولقد كان من صفات المؤمنين في القرآن الكريم الابتعاد عن اللغو فكيف السوء : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ المؤمنون : ٣ .و﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ النساء : ١٤٨ .

---

١ نفسه ، متفق عليه .

٢ نفسه .

٣ أخلاق المسلم : ص٣٠٦ . متفق عليه .

٨ــ وبهذا نرى في السخرية تقهقراً للمجتمع ودفعاً له ، ليفقد معطياته الإيجابية وقدراته ، بل ليقع في نوازع سلبية هادمة . هذا المجتمع الذي حرص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أشد الحرص في تقويمه وتحصينه ، فصار فيه المسلم مرتبطاً (بعقد اجتماعي) و(بمجتمع أيديولوجي منظّم) كما يقول مارسيل بوزار ، هذا الأجنبي الذي أدرك خصوصية هذا المجتمع فقال : (وقام الدين بوظيفة الحافز المؤدي إلى تشكيل مجتمع من نوع خاص ، مجتمع من الصلابة بحيث لم تتمكن القوى الدافعة نحو المركز التي أرهقت المجتمع الإسلامي طوال تاريخه من تصديعه ، وحتى في هذه الأيام)[١] .

ونشير إلى أننا لسنا مع هذه المصطلحات التي يطرحها بوزار : (العقد الاجتماعي ، والمجتمع الإيديولوجي المنظم) ، وعندنا ما هو أدق وأوجب وأجمل ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وغيرها ، ولكن حسبنا هنا أن نشير إلى أن الأجنبي يدرك ميزة هذا المجتمع النقي القوي الذي صنعه الإسلام .

وبعد لننظر إلى ملكة في الإنسان تعد في جانب منها ذكاءً وميزة وتفوّقاً[٢] تُستهلك في نقض عرى المجتمع وليس في بنائه ، ولننظر في المقابل إلى النفس الإسلامية التي تربّت في هدي الرسول صلى الله عليه وسلم كيف تصرف عنها هذا الأذى الذي تحسّه فيها لتقوّمه بميزان الإسلام الصحيح ولتخضعه للوازم الاجتماعية القويمة . إنه قيس بن سعد بن عبادة (أدهى العرب لولا الإسلام)[٣] . (وإنه الداهية الذي يتفجر حيلة ومهارة وذكاء ، والذي قال عن نفسه وهو صادق : لولا الإسلام لمكرت مكراً لا تطيقه

---

١ إنسانية الإسلام : ١٤٩ . : مارسيل بوازار ، ترجمة العالم عفيف دمشقية ، دار الآداب / بيروت / ط١ : ١٩٨٠.

٢ أساليب السخرية في البلاغة العربية : ص٢٩ .

٣ رجال حول الرسول : ٣٠٩ .

العرب)[1] . (ولم يكن في المدينة وما حولها إلا من يحسب لدهائه ألف حساب ، فلما أسلم علّمه الإسلام أن يعامل الناس بإخلاصه لا بدهائه)[2] . ونذكر قول عائشة رضي الله عنها وقد اغتاظت .. رضي الله عنها من خادم لها ، ثم رجعت إلى نفسها فقالت : (لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء)[3] . (إن هذا النوع من البشر هو الذي يحقق للأمة التوازن الاجتماعي والصحة النفسية)[4] .

نعم وإن دور المسلم في مجتمعه هو البناء ودفع كل ما يؤخر من تقدمه ما دام يعد نفسه مسلماً . (لقد أثبت تاريخ الحضارة الإسلامية أنه طالما ظلت جنسية الإنسان المسلم تستمد من ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ الحج : ٧٨ ، فإن الأمة المسلمة ظلت تعيش لحمل الرسالة إلى الناس في الخارج وظلت الطبقة العليا مفتوحة لكل من "اتقى" مرضي الطغيان والهوان مهما كان أصله ولونه وغناه أو فقره)[5] .

فالإسلام منهج وسلوك ، ولا يكفي أن يكون عقيدة فقط ، ذلك لإقامة المجتمع السليم القويم . ولقد حرص الرسول الكريم أن يحصنه حتى من ظنون أعدائه فقال لعمر : (فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)[6] .

وكانت وظيفته الكبرى صلى الله عليه وسلم (هي تكوين صالح للفرد الإنساني ليكون عضواً سليماً في المجتمع المتكامل ، لذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم إماماً في الصلاة وقاضياً يتقاضى إليه الناس راضين بحكمه ..

---

١ نفسه : ٣١٠ .

٢ نفسه .

٣ السمير المهذب : ٧٧/٢ .

٤ أهداف التربية الإسلامية : ٢١٣ .

٥ أهداف التربية الإسلامية ، للعالم ماجد عرسان الكيلاني ، دار القلم ــ دبي ــ ط١ ، ٢٠٠٥ : ص٢١٥ .

٦ سيرة ابن هشام : ٢٥٤/٤ .

وقائداً في ميدان الجهاد .. ومعلماً يتلقى منه الصحابة كل علم نافع .. وكان في كل ذلك مربياً ، يقوم السلوك ويهذب النفوس وينظم المجتمع ويرعى الأجيال النامية في ظلال ذلك المنهج التربوي السليم)[1] .

و(كانت حياته ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد البعثة النبوية عملاً متواصلاً في تربية الناس تربية مقصودة واعية وواضحة المعالم)[2] .

هذا الحرص النبوي والجهد العظيم لبناء هذا المجتمع الإسلامي القويم هل يبقى أمامه مجال لساخر يهدم فيه ، ويدّعي بعد أنه فرد مسلم ؟! إن (على المؤمن أن يراعي الحقوق الاجتماعية للآخرين ويحترمها ، ويحافظ على حرمات الله العامة التي تمسّ المجتمع برمته وأساس هذه الرعاية : الشعور بالوحدة والأخوة وكف الأذى عن الناس والإشفاق عليهم ورحمتهم ، فمن تنكر لوحدة الأمة ولم يمنع أذاه عن غيره ... فإنه لا يستحق الانتماء لهذه الأمة)[3] .

٩ــ والسخرية استدراج للآخرين أن يقعوا في هذا الإثم ، فهي مفسدة اجتماعية ؛ ذلك أن كثيراً من الناس إمّعات يسعون مع من ظهر صوته أو لمع اسمه ، أو له سطوة ما ، فيكون ذلك الساخر وقد أوتي قدراً من الذكاء والبراعة [4] مدعاةً ليوقع الآخرين في مسلكه ومفسدته . وقد ذكر لنا القرآن نموذجاً شبيهاً بهذا في أثره السيئ على الناس ، إنه فرعون : ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ الزخرف : ٥٤ . وذكر لسان حال الآخرين المضلّين فقال : ﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِي ﴾ الفرقان : ٢٩ .

---

١ الرسول العربي المربي : ٧٨ . : العالم عبد الحميد الهاشمي ، دار الهدى ــ الرياض. ط٢ : ١٤٠٥ – ١٩٨٥ .

٢ نفسه : ٧٧ .

٣ أخلاق المسلم : ٤٦ .

٤ أساليب السخرية في البلاغة العربية : ٢٩ .

وإنه من دواعي التربية الصحيحة للمجتمع والفرد أن تدفع ما يمكن أن يسيء بأكثر مما تعمل لتقديم ما ينفع[1] ، وذلك لتحصين المجتمع وحفظه من هدم ما تمّ بناؤه ؛ ولأن الهدم أسرع وأفتك .

وبهذا يجب أن يدفع هذا السوء (المركب) من السخرية ما دمنا نسعى بإسلامنا لإقامة المجتمع الصالح والمفيد ، ولقد علمنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال : (كل أمتي معافى إلا المجاهرون)[2] حرصاً على المجتمع من المفاسد وتحصيناً له من أن يقبلها ، فكيف بهذه المفسدة أن تأتي سفاحاً ؟!

١١ــ والسخرية صورة سلبية للمسلم أمام غيره من غير المسلمين ، بل هي دعوة مضادة للإسلام فلا يمكن لساخر من أخيه المسلم أن يكون داعياً للإسلام ؛ ذلك أنه غير مقنع في سلوكه ودينه وخلقه ، وقد كشفنا عن النقيصتين ؛ نقيصته في نفسه ونقيصته في دينه ، بل إن الإسلام ليشوّه على لسانه ، ولقد علمه غير المسلم ساخرا ، فلا يستوي جد وهزل ، هذا إذا كان من في طبعه السخرية يقصد الدعوة إلى الإسلام ! بل من غير أن يكون داعياً فهو أمام غير المسلم صورة لمسلمٍ منقوص تؤثر فيه سلباً تجاه الإسلام . وقد علمنا من تاريخ المسلمين أن سلوكهم ــ دون دعوتهم ــ كان داعياً للإسلام ومن ذلك ما كان في أندونيسيا وغيرها من الدول المجاورة لها التي نعمت بالإسلام . إن سلوك المسلم القويم دعوة للإسلام وإقناع قد يفوق الإقناع باللسان ؛ لذلك كان على المسلم ألا يتشبه بأهل الكفر.

١٢ــ والسخرية تضليل لصاحبها ودفع له ليركب السوء ويتجرأ به أكثر ؛ ذلك أن فطرة الإسلام ــ بما جبلت عليه من خير ــ جعل الله تعالى بينها وبين المحرمات والموبقات حجاباً وساتراً إن هتكت هذا الحجاب لسبب سهل

---

١ ويعبر عن هذا علماء الأصول بقولهم : (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) : المرادفات : ١٩٠/٣ .

٢ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٣١٤/١٠ .

عليها هتكه أو الدخول فيه ، بعد ، والتفرّع في ارتكاب المحرّمات . فمحرّم واحد يقود إلى محرّمات بانزلاقات للنفس هذه عن أصلها المقوَّم .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم : ٣٠ .

وقال صلى الله عليه وسلم : (كل مولودٍ يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[1] .

ويقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في هذا (والإسلام في علاجه للنفس ابتغاء إصلاحها ينظر إليها من ناحيتين :

أن فيها فطرة طيبة تهفو إلى الخير وتُسَرُّ بإدراكه وتأسى للشر وتحزن من ارتكابه، وترى في الحق امتداد وجودها وصحة حياتها .

وأن فيها إلى جوار ذلك نزعات طائشة تشرد بها عن سواء السبيل ، وتزين لها فعل ما يعود عليها بالضرر ، ويُسفّ بها إلى منحدر سحيق)[2] .

ويقول مبيّناً أكثر لهذه النزعات الفاسدة منشأً وعلاجاً : (وهذه الطوارئ المفسدة للفطرة قد تتكون من رواسب القرون الماضية أو من تقاليد البيئات الساقطة أو من كليهما معاً ، وهي شديدة الخطر فيما تجره على الفطرة البشرية من علل ، وجهاد المصلحين الحقيقي يقوم على كفاحها وكسر حدتها وإنقاذ الفطرة من غوائلها ، حتى ــ تعود ــ إلى صفائها الأصيل وتؤدي وظيفتها الحقة)[3] . وبشكل آخر يعبر العالم محمد عبد الله دراز رحمه الله

---

١ الجامع الصغير : ٢٨٦/٢ .

٢ خلق المسلم : ٢٢ .

٣ خلق المسلم : ٢٣ .

عن هذا فيقول : (يجب أن نعترف بأن هذا النور الفطري الذي يغلفه الهوى وتفسده العادات ينبغي أن يتعرض لنوع من الكبح، وأن يظفر بجملة من التوجيهات تختلف باختلاف الزمان والمكان والأمزجة، وإلا فإن اليقين الأخلاقي .. بصرف النظر عن بعض الواجبات الأساسية المعترف بها لدى جميع الضمائر السوية ــ سوف يخلي مكانه تدريجياً للأوهام ، وضروب الشك ، وصنوف الضلال)[1] .

ويقول الشيخ الغزالي رحمه الله تعقيباً على ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝٥ ﴾ التين : ٤-٥ .

(ذلك التقويم الحسن هو معرفة الحق والاستمساك به والسير على مقتضاه ، وهو الولوع بالفضل والنبل ورعايتهما في منطق المرء مع نفسه ومع الناس . وهو نشدان الكمال في نسقه العالي وتغليبه على كل شيء في الحياة .

بيد أن كثيراً من الناس تثقل بهم أهواؤهم دون هذا المستوى العالي ،

فيخلدون إلى الأرض ثم تجمح بهم أهواؤهم المتعبة فينحدرون إلى مكان سحيق وذلك هو أسفل سافلين الذي يردهم الله إليه)[2] .

ونظن أن السخرية شيء من هذا الذي يجمح بالنفوس فتنحدر إلى مكان سحيق ! فإذا علمنا أن (المسلم مكلف أن يلقى أهل الأرض قاطبة بفضائل لا ترقى إليها شبهة)[3] . فكيف ينحدر هذا الانحدار ؟!

---

١ دستور الأخلاق في القرآن : ٣١ .

٢ نفسه .

٣ نفسه : ص٢٩ .

١٣ــ والسخرية تجرّؤ وقلة حياء تنطوي على وقاحة في المستهزئ وتطاول على الآخرين . ولا يمكن لإنسان حيي أن يسلك هذا المسلك مع الناس وحتى في غير المسلمين . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار)[١] .

فجعل الرسول الكريم الحياء نقيض البذاء (سوء اللسان) ، قرن الحياء إلى الإيمان والجنة ، والبذاء إلى الجفاء والنار .

إن القرآن الكريم عندما يبعد المسلم عن السخرية إنما يبعده عن هذه المثالب وهذه الهاوية التي يؤول إليها هذا الذي يتنافى مع كونه مسلماً . ولقد حرص الإسلام على أن يكون المسلم حيياً كما حرص على أن يكون مؤمناً ، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (الحياء والإيمان قرناء جميعا ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)[٢].

وبهذا لا يستقيم لمؤمن أن يقلّ حياؤه فيتجاوز حدوده على الآخرين ويتجرأ على مكانتهم .

إن ربط الإسلام بين الحياء والإيمان هو حفظ للمؤمن أن تزل قدمه بعد ثباتها ، وحفظ للمجتمع من هذه المدمّرات ، والسخرية عندما تستحكم في نفس الإنسان فلا تراه إلا ساخراً من الناس ومما حوله ، يصبح بها الإنسان شرًّا كله ، تضيع عنده قيم الناس وأقدارهم ويضعف عنده الاحترام لهم ، ويصدق عليه قول الرسول الكريم : (إذا لم تستح فاصنع ما شئت)[٣] .

---

١ خلق المسلم : ١٤٧ . عن مسند أحمد .

٢ نفسه : ١٤٦ . عن الحاكم .وفي الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية ١٤٦/١

٣ مصنف ابن أبي شيبة : ١٧٢/٢١ .

١٤ــ والسخرية خسارة وبوار في الآخرة . وكما هي حاله في الدنيا يسخر من الناس ويقلل من شأنهم ، فإن الله تعالى في الآخرة يسخر منهم ويقلل من شأنهم ويتركهم بهذه الصورة التي تحدث عنها الحسن (إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم في الآخرة باب من الجنة فيقال له : هلم . فيجيء بكربه وغمه ، فإذا جاء أغلق دونه . ثم يفتح له باب آخر ، فيقال هلم هلم ، فيجيء بكربه وغمه ، فإذا جاءه أغلق دونه . فما يزال كذلك حتى إن أحدهم ليفتح له الباب من أبواب الجنة فيقال له هلم .. فما يأتيه من الإياس)[١]

فما بال الساخر يخسر آخرته بهذا السوء وقد يكون له من صلاة وصيام !؟

١٥ــ وإذا أردنا أن نجمل الأمر في السخرية وسلبياتها ،هنا، لنا أن نقول : إنها سقوط أخلاقي ، وهذه الجملة تجمع لنا كل تلك المثالب التي ذكرت وتكشف البعد عن الدين ، وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٢] ، دافعاً المسلمين إلى حسن الخلق جاعلاً إياه هدف الرسالة وجوهرها؛ لهذا لا تنفصل الأخلاق عن الدين ، بل البعد عن أحدهما بعد عن الآخر بالضرورة. وإننا نجد هذا الرباط كثيراً في الدين ، منه قوله تعالى :﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ﴾ . العنكبوت : ٤٥ . وقوله تعالى رابطاً بين التقوى والصادقين آمراً : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ التوبة : ١١٩ . وقوله صلى الله عليه وسلم : (تبسّمك في وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ..)[٣] . وقال عليه الصلاة والسلام : (ألا أخبركم بأحبكم إلي ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ؟

---

١ خلق المسلم : ١٠٩ . عن البيهقي .

٢ سنن البيهقي الكبرى : ١٩١/١٠ .

٣ خلق المسلم : ١٠ . رواه البخاري .

فأعادها مرتين أو ثلاثاً ــ قالوا نعم يا رسول الله ؟ قال : أحسنكم خلقاً)[1] وقال عليه الصلاة والسلام موضحاً أكثر هذا التلازم بين الإسلام والأخلاق : (إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء ، وإن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً ، وسئل : أي المؤمنين أكمل إيماناً ؟ قال : أحسنهم خلقاً)[2] .

هذه الآيات والأحاديث تجعل الساخر خاسراً لصفة الإيمان الكامل أو الإسلام الحق. وقد جمعت بين الإسلام والخلق الحسن والعلاقة بالمجتمع ، العلاقة الطيبة المفيدة التي تنعكس عن حسن الأخلاق ، وبالتالي يخرج الساخر بسقوطه الأخلاقي هذا بعيداً عن الصلة الطيبة بالمجتمع أيضاً ، فيكون خاسراً في الدين والدنيا . وبهذه الصلة الوثيقة بين الدفع عن السخرية والأخلاق ، وجدنا الآية الكريمة جمعت بين النهي عن السخرية والنهي عن نقائص محرمة أخرى ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ الحجرات : ١١ .

ونجد الرسول صلى الله عليه وسلم يعطينا مقياساً واضحاً للفلاح مع حسن الأخلاق. وقد قال له رجل : (يا رسول الله إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقها ، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، فقال : هي في النار . ثم قال : يا رسول الله فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها ، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ــ القطع من الجبن ــ ولا تؤذي جيرانها . قال : هي في الجنة)[3] .

فما هذه الخسارة التي يقع فيها الساخر ؟ وكيف له أن يعود ؟

---

١ نفسه : ١٥ . رواه أحمد .

٢ خلق المسلم : ١٤-١٥ . رواه الطبراني .وفي (البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف) ٢١١/١

٣ نفسه : ١٢ عن أحمد . وفي بحر الفوائد للكلاباذي ١٧٦/١ . ومرقاة المفاتيح ٢٨٤/١٤

إن جملة كهذه أضعها هنا ــ كيف له أن يعود ؟ ــ أجعلها مدخلاً لذكر العلاج الناجع الذي بشّر به الإسلام كل مخطئ ، فقال صلى الله عليه وسلم (كل ابن آدم خطّاء ، وخير الخطّائين التوّابون)[1]. دالّاً على التوبة طريقاً للنجاة ، بل وللفوز أيضاً فربطهم بالخيرية . نعم إن من يدرك خطأه ليقلع عنه ، لعلمه أنه خطأ يجب أن لا يتصرفه ، هو خير فيه وفضل يدفعانه لهذا الفعل .

ولنا في الساخر أبواب أخرى يطرقها لينجو من هذه الآفة هي إمساكه لسانه والتنبه لفلتاته ، وليذكر (وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم)[2] ودفعه لغوائل نفسه ونزعاتها فليس للمسلم أن يشفي غِل صدره بالمحرمات . وقد مرّ بنا قول عائشة رضي الله عنها : (لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاءً) ــ ص٦١ ــ .

بل إننا نقول إن على الساخر أن يستخدم ميزة الذكاء والحذق والبراعة التي عنده[3] ضد أعداء الإسلام وليس في المسلمين فتصبح عندئذ وسيلة من وسائل الدفع عن الإسلام ونصرة للدين إن أتقنت وسائلها في مكانها المناسب ــ وسوف أقف مع هذه النقطة لاحقاً إن شاء الله .

ومن وسائل العلاج صلاح المجتمع ؛ فإذا صلح المجتمع لم يبق للمخطئين صولة وجولة بل يجدون أنفسهم في خطئهم عورة يسعون إلى سترها ، وليس إلى التباهي بها . ولا شك أن المسؤولين القائمين على أمور المسلمين إذا اهتموا بإصلاح المجتمع ونشر الوعي الديني وغرس التربية الإسلامية الصحيحة فيه .. يكون في ذلك عون للمخطئ أن يستقيم .

---

١ سنن الترمذي : ٦٥٩/٤ .

٢ الاستذكار : ٥٦٩/٨ .

٣ في البلاغة العربية : ٢٩ .

وبقي أن أشير إلى أن هذه الآية ــ آية السخرية ــ في الحجرات (١١) دلّت على توجيه اجتماعي تربوي ديني كبير بين المسلمين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ .

فكلمة أنفسكم دلّت على رباط المسلمين الواحد إلى الحد الذي تصبح فيه الإساءة للآخر إساءة للذات وكأنّ المسلمين جسد واحد ، وكذلك جاء بها الحديث الشريف : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[١] .

والله سبحانه بهذه الكلمة يربينا بتربية الإيمان ليبعدنا عن نزغات النفس وشرورها، بل ويجمعنا تبارك وتعالى بجامع واحد في ظلال الأمان ليقوم المجتمع الفاضل الجميل .

وحول السخرية وآية الحجرات هذه يجمل القول العالم وسيم فتح الله فيقول : (إن هذا السلوك الاجتماعي الشائن يعكر على أفراد المجتمع المسلم صفو علاقتهم ويكدر صفاء مبادئهم؛ فلا يسلم الاعتقاد بأفضلية المسلم وتساويه في الحقوق مع أخيه المسلم مع الاستهزاء به والسخرية منه، فكان لا بد من توجيه قرآني يلفت الانتباه إلى أصل الرابطة الإيمانية المشتركة بقوله تعالى:"يأيها الذين آمنوا " ثم يأتي النهي بلون تعبيري مميز :"لا يسخر قوم من قوم "، " ولا نساء من نساء " لأن السخرية تغلب فيها المشاركة، فناسب أن يأتي النهي بهذا اللون[٢])، كما ناسب إفراد النساء عن الرجال في النهي لأمرين؛ أحدهما كثرة وقوع ذلك منهن فكان عطفهن على القوم – وإن كن داخلات فيهم أصلاً – من باب عطف الخاص على العام لبيان شدة الاهتمام بنهيهن عن هذا السلوك، والثاني – أشار إليه صاحب قواعد التدبر الأمثل –

---

١ صحيح مسلم : ١٩٩٩/٤ .

[٢] عن محاضرة للكاتب بعنوان (آداب وضوابط المجتمع الإسلامي من خلال سورة الحجرات) في الشاملة ، غير مطبوعة. ص٢٢

أن فيه إشارة إلى أن النساء لا يخالطن الرجال في المجالس الاجتماعية فناسب تذكير ونهي كلٍ على حدة.[1])

والسخرية منافية لخلق المسلم لأن فيها استعلاءً بغير الحق، ولذلك نبهت الآية الكريمة على ذلك :"عسى أن يكونوا خيراً منهم"، أي الخيرية الشرعية، فذلك الذي تسخر منه لأمر دنيوي قد يكون خيراً منك في المعيار الشرعي فيكون استعلاؤك عليه تقديم لأمر الدنيا على أمر الآخرة، وتقديم لهوى النفس على معيار الشرع والعياذ بالله، هذا بالإضافة إلى ما تحدثه هذه السخرية من غلٍ في النفوس وشرٍ بين الناس حتى إن الله علم نبيه صلى الله عليه وسلم

والمسلمين أن يستعيذوا به من هذا الشر ؛ قال سبحانه :" ومن شر حاسدٍ إذا حسد")[2]

وأختم هذا الفصل بمقتطف لسعيد حوى، رحمه الله تعالى ، وهو يتكلم عن آفات النفس ، فذكر السخرية والاستهزاء ، فقال [3]: (وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ)﴾ الحجرات ١١ ٠ ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه ، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول ، وقد يكون بالإشارة والإيماء ، وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة ٠ قالت عائشة رضي الله عنها : حاكيت إنسانا فقال لي النبي ،صلى الله عليه وسلم : ""والله ما أحب أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا ""[4]، وقال ابن عباس في قوله تعالى عن المجرمين ﴿ يَـٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا

---

[1] نفسه

[2] أخلاق وآداب المجتمع الإسلامي من خلال سورة الحجرات ص ٢٢ (عن المكتبة الشاملة ، موقع مكتبة صيد الفوائد ٠ غير مطبوع)

[3] المستخلص في تزكية الأنفس ٤٠٥ ٠

[4] أخرجه أبو داود والترمذي وصححه (المستخلص)

ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴾ الكهف ٤٩ : إن الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن ، والكبيرة القهقهة بذلك ٠ وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر ٠ وعن عبد الله بن زمعة أنه قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال : "" علام يضحك أحدكم مما يفعل ""[1]، وقال معاذ ابن جبل : قال النبي، صلى الله عليه وسلم ، "" من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله ""[2] ، وكل هذا يرجع إلى استحقار الغير والضحك عليه استهانة وستصغارا له ٠ وعليه نبه قوله تعالى ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ أي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك)

ثانياً ــ السخرية المحرّمة من قبل الكافرين والمنافقين للمسلمين :

١ متفق عليه (المستخلص)
٢ أخرجه الترمذي وقال حسن غريب (المستخلص)

أما أن تكون من قبل الكافرين والمنافقين معاً فلأنهما من دائرة الكفر والعناد جميعاً، وقد جمعهما الله سبحانه في حضيض واحد فقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ النساء : ١٤٠ .

بل غلّظ الله عقاب المنافقين فقال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ النساء : ١٤٥ .

وأما أن تكون محرّمة فلأن الكافر يلقى فوق كفره عذاب ما ارتكب من محرّمات ، بدليل قوله تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ المدثر . وهو خطاب للكافرين بدليل ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

إن كفر الكافر لن يكون له سعةً في الدنيا ؛ بل ما يقدّم من سوء سيزداد به سوءاً في الآخرة . ومنه كانت تسميتنا للسخرية من قبلهم "محرّمة" أيضاً .

ولقد ذكر القرآن مواقف كثيرة من سخرية هؤلاء بالمسلمين في آيات كثيرة ، سأحاول هنا أن أستعرض بعضها بإذن الله وأقف على الموضوعات التي تناولوها في سخريتهم ، وأسباب هذه السخرية وأهدافها .

١ــ تطالعنا سورة البقرة في بداياتها بذكر المنافقين في آيات عديدة وكان من هؤلاء : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟

إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ البقرة : ١٤ . فكان رد القرآن الكريم : ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ البقرة : ١٥ .

٢ــ وفي الآية ٢١٢ من البقرة قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ ﴾ فكان رد الله سبحانه في الآية ذاتها : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ .

نجد في الشاهدين السابقين تأتي السخرية بلفظها ويكون قصدها المؤمنين بإيمانهم : ففي الأول خداع ومكر من المنافقين ، والثاني السخرية من المؤمنين لأنهم خسروا مكاسب الدنيا التي تزينت في أعينهم .

٣ــ وقال تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ هود : ٣٨ . وهنا نرى الكفار يسخرون من نوح لصنعه السفينة ظانين أنه من العبث أن يصنع سفينة لا لزوم لها في بيئتهم .

ومن المؤكد أن سخرية الكفار من المؤمنين سواء بلفظها المباشر أم غير المباشر ، إنما هي تقصد إلى إسقاطهم ، وإقصائهم عن التأثير ، والتقليل من شأنهم ما أمكنهم ذلك : غير أننا نجد في سخريتهم غير المباشرة جوانب أكثر ، شأن السخرية (الأسلوبية) بشكل عام .

ونستعرض بعضاً من هذه "الأسلوبيات" الساخرة الواردة على ألسنة الكفار في القرآن :

قال تعالى :

أ ــ في سورة الأعراف على لسان قوم لوط عليه السلام : ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ : ٨٢ .

ب ــ وفي سورة هود : ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ : ٨٧ .

ج ــ وفي الزخرف يقولون لموسى عليه السلام : ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ : ٤٩ .

د ــ وفي النساء يخاطبون محمداً صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ ﴾ : ٤٦ .

هــ ــ ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنبياء :٢.

هذه الشواهد من أساليب سخريتهم تظهر لنا تنوعاً في مقاصدهم تجاه المسلمين ومجالات عدة أرادوا هدمها بجهد منظم يدافع عن بقائه ومصالحه :

في الشاهد الأول نجد (مقصود الأشقياء بهذا الوصف السخرية بلوط ومن معه وبتطهرهم من الفواحش وتباعدهم عنها)[1] وذلك ليبقى لهم فحشهم مفتخرين به .

وفي الشاهد الثاني نجد يهزؤون بصلاة شعيب عليه السلام وبعقله ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ .

ومع موسى عليه السلام في الزخرف يهزؤون بنبوته فينسبونه إلى السحر وكانوا قد هزئوا بمعجزاته : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الزخرف : ٤٧.

وفي النساء مع محمد صلى الله عليه وسلم ، نجد لهم فنًّا آخر هو التلاعب بالألفاظ ، بل إنهم يسخرون بالتصفيق والتصفير شأن من لا حيلة له ولا قوة إلا الشغب هذا: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ الأنفال : ٣٥ .

فـ"راعنا" (أصلها : راقبنا وانظرنا نكلمك ، والمراد بها أنها كلمة سب بلغتهم وهي "راعينا" أو من الرعونة والطيش)[2] .

وأيضاً نجدهم يهزؤون بكلام رسول الله وكثرة حديثه عن القيامة (بأوصافها الهائلة . مثل الطامة والصاخة والآزفة والحاقة والقارعة ، فقالوا

على سبيل الاستهزاء : أيان مرساها أي زمان إرسائها)[1] . بل إنهم يسخرون في الشاهد الخامس بكل ما يأتيهم من ذكر .

---

١ روح المعاني : ١٧١/٨ .

٢ التفسير المنير : ٩٥/٥ .

ومما تقدم من سخرية الكفار نجد أن الجوانب التي تناولوها في سخريتهم : شخوص الأنبياء وعقولهم ومعجزاتهم ، والمؤمنين وابتعادهم عن محرمات الدنيا ، وسخروا بالطهر والصلاة وبما جاء به الأنبياء وبما توعدهم به الأنبياء من العذاب: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ الأحقاف : ٢٢ . طلبوا هذا (العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء)[٢] .

هزئوا بكل مظهر مؤمن وبما جاء به الإيمان ، فلماذا هذه السخرية منهم ؟ ولماذا لجؤوا إلى السخرية ؟

ويأتي الجواب للسؤالين معاً :

إننا إذ نلاحظ الشواهد السابقة نجد عظم ما يتعرض له الكفار من اهتزاز في كيانهم أمام سطوع الحق وبرهانه ، فهم لا يجدون في أنفسهم القدرة على المواجهة وصدع الحجة بالحجة ، فليجؤون إلى السخرية طريقاً لتثبيت أنفسهم وليتوازنوا مقابل المعادلة الخاسرة التي يتعرضون لها في الواقع "الجدّي" مع الحق .

هذا من جانب ، وجانب آخر نلحظه هو الطغيان والضلال ؛ ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ المطففين : ١٤ . ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ النمل : ٢٤ .

---

١ التفسير المنير : ٥٢/٣٠ .

٢ التفسير المنير : ٥٥/٢٦ .

فكانت السخرية تفكّهاً ولعباً لهم واستكباراً وتيهاً على المؤمنين ، ومن ثم فقد هدفوا إلى جعل (السخرية سلاحاً نفسياً رهيباً يريدون أن يحطموا به عزم المسلمين ويزعزعوا به من ثقتهم في أنفسهم وكيانهم وعقيدتهم)[1] .

والسخرية عند الكفار موجهة ؛ ليست للذين يسخرون منهم فقط ، بل يهدفون بها صد الكفار الآخرين عن الاقتناع بالمؤمنين . لذلك كانوا ينقصون من قدر المؤمنين أيضاً . ولننظر إلى فرعون في مراوغته مع موسى عليه السلام ، قال على لسان القرآن الكريم : ﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ الزخرف:٥٢. قاله افتراءً عليه وتنقيصاً لموسى عليه السلام في أعين الناس .

وهكذا تأتي السخرية عند هؤلاء سلاحاً لهم ضد المؤمنين ودواء لنفوسهم الضعيفة ومواقفهم المهتزة ، وصدًّا للإيمان أن ينتشر ، وتكبرا ولعبا بالدين .

وعليه فلا يكفي ما قاله الأستاذ العقاد أنها تأتي (من بابين : العبث والغرور) [2]

وبهذا نصل إلى نهاية القول في السخرية المحرمة بشقيها : من المسلمين للمسلمين، ومن الكافرين للمسلمين .

وأضيف ، رب سائل يسأل : ألا يمكن أن تكون السخرية محرّمة من المسلمين بالكافرين ؟ وأجيب : بنعم ؛ وذلك إذا كانت سخرية المؤمن بالكافر لأنه كافر فقط دون أن يصدر منه معاداة للمؤمن ، مما يدفع الكافر للتعنت بكفره أكثر والعداء للمسلمين أكثر .

---

١ أسلوب السخرية في القرآن الكريم : ١٢ .

٢ مطالعات في الكتب ص ٧٨

فسخرية كهذه أن تأتي من مؤمن فهي مضرّة بالإسلام ، تزيد من خصومه وتدفع عن الدخول فيه ، **وهي محرّمة لأنها ظلم** . ولكن هذه السخرية ليست موجودةً في القرآن .

ولكن متى يمكن للمؤمن أن يسخر بالكافر ؟ سؤال كهذا أضعه مدخلا للوصول إلى القول في :

السخرية المباحة في القرآن .

وهي المبحث الثاني

المبحث الثاني

السخرية المباحة في القرآن الكريم

وهي سخرية القرآن الكريم بالكافرين والمنافقين

أولا أكرر سؤالا هنا : هل يسخر القرآن ؟ وما دامت السخرية هجاءً ، فهل يليق بالقرآن الكريم ، كلام رب العالمين ، أن يكون هجّاءً . ولم يسخر القرآن ؟ ولمن؟ وبمن ؟

أسئلة لفتت نظر العالم عبد الحليم حفني في بحثه القيّم حول (أسلوب السخرية في القرآن الكريم) فأجاب إن (بعض الصور الساخرة التي ساقها القرآن الكريم بما سيأتي خلال البحث ــ قد يتردد البعض في تصور نسبته إلى الله سبحانه . وهنا نقول إن القرآن بصفته ناطقاً بلسان المسلمين ، يجعل هذه الصورة كأنها صادرة من المسلمين أو ممثلة لموقفهم ، ويركز القرآن على هذا المعنى أحياناً ، لأن في هذا التركيز هدفاً مقصوداً وهو أن القرآن في كل اتجاهاته يحشد كل أسلحته وطاقاته ، ليعزز مركز المسلمين ويدفعهم إلى النصر ، وفي الوقت نفسه يحطم مركز أعداء الإسلام ويدفع بهم إلى الهزيمة أو الشعور بها أو يتوقعها)[1] . يقول تبارك وتعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ الإسراء : ٨٢ .

وإن من هذا الشفاء سخريته .

---

١ أسلوب السخرية في القرآن الكريم : ١١-١٢ .

ويظهر من قول العالم حفني أن من أهم دواعي سخرية القرآن هو وجود الأعداء (لأن السخرية بطبيعتها أسلوب عدائي ، وهي من أمضى الأسلحة في تحطيم معنويات العدو)[1] .

وأعداء المسلمين كثر كما هو معلوم ؛ من المشركين كقريش والكفار كاليهود والنصارى ، والمنافقين وذلك في عهد نزول القرآن بالإضافة إلى الأعداء المحتملين فيما تقدم من عصور فكانت سخرية القرآن سخرية دفاعية من جانبين : لدفع الأذى الراهن والأذى المقبل . يقول العالم الحفني : (ومن هذه المقوّمات الذاتية في القرآن والتي راعت العصور وما يستجد فيها السخرية كما سيأتي في الأحاديث المخصصة لهذه النقاط السابقة . ولا أعني السخرية لذاتها ، وإنما أعني أن القرآن قد صاغ بعض أسلحة دفاعه في أسلوب السخرية)[2] .

وأريد أن أشير هنا : إلى أنه من جوانب هذا البحث هو ما تعلق بسخرية الكافرين كرد لها مما يمثل (سخرية معكوسة) ، وفي هذه السخرية المعكوسة تظهر براعة القرآن العظيم في نقض سخرية الكافرين وتفنيد أهدافها وتثبيت المسلمين . وقد رأينا في الشواهد السابقة في سخرية الكافرين بعضاً من هذا[3] ومنها ما كان في مواجهة المنافقين :

أ : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥ ﴾ البقرة : ١٤-١٥ . القرآن يظهر هزأه بهم هنا وأنه يكشفهم ويمدهم في

---

١ نفسه : ٤٩ .

٢ أسلوب السخرية في القرآن : ٣٦ .

٣ ص ٧٥ .

هذا الضلال الذي يظنون أنهم متخفون به . إنه لقرآن هنا (يقلب الطاولة عليهم) بتعبير فني !

ب : ومنها قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ ﴾ البقرة : ٢٢ .

رد آخر يظهر أن ما كسبوه وما سخروا به من المؤمنين إنما هو لا شيء بمقياس يوم القيامة ، وإن المؤمنين فوقهم بما اتقوا وهذا هو المعيار الأهم ؛ يثبت الله به المؤمنين ويقلل من شأن الكافرين ، بل إن ما كسبتموه أيها الكفرة ليس ما ننافسكم فيه .

ج : وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الأنعام ١٠

وهنا يظهر القرآن برهاناً جلياً من سيرة الأمم السابقة تهديداً ووعيداً للكافرين وكي لا يستمروا على كفرهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتخفيفاً عنه .قال العلامة الألوسي ــ رحمه الله ــ (تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه كالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبي جهل وأضرابهم أي أنك لست أول رسول استهزأ به قومه فكم وكم من رسول جليل الشأن فعل معه ذلك)[1] . وقال : (لأنه متضمن أن من استهزأ بالرسل عوقب فكأنه سبحانه وتعالى وعده صلى الله عليه وسلم بعقوبة من استهزأ به عليه السلام إن أصر على ذلك)[2].

[1] روح المعاني : ١٠١/٧ . دار إحياء التراث
[2] تفسه

غير أننا نرى فنوناً أكثر لسخرية القرآن في الهزء بالكافرين ودفع أذاهم وتمكين المؤمنين ، والشواهد كثيرة تضمنتها أساليب القرآن الرائعة نذكر منها : قوله تعالى في معرض قوله عن الأثيم الكافر المتكبر في سورة الدخان .

د : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ ٤٣-٤٩ .

ننظر إلى هذه الصورة العجيبة من صور القرآن الكريم ، صورة أهل الكبر والفساد وقد آل بهم الأمر إلى جهنم : نعم لهم طعام وتكريم وعزة ولكن أي طعام وتكريم وعزة ؟! إن القرآن الكريم يجمع لنا بين النقائض ، ويقلب المعاني ليعطي الصورة أثراً أكبر في النفوس :

إن لفظ شجرة لفظ جميل فيه ظل ظليل وثمر طيب ، كما هو حال أهل الجنة وما يعرفها به أهل الدنيا . ولكن هذه الشجرة في جهنم طعام مرّ حارّ يغلي ويفتك في بطون هؤلاء الكفار حين أكلهم منها ، ولا بد لهم من الأكل منها فهي طعامهم .

ومن ثم تظهر لنا صورة المتكبر المتغطرس هذا كيف آل حاله وقد سلك في أذرعة الحديد فصار حزمةً مرصوصة يُعتل عتلاً كأي كيس لدى الحمالين "فاعتلوه" فيها من الإهانة والإسقاط ما يعلمها هذا الكافر المتجبر !

وإذا كان للضيف أن يكرم ، وللنزيل أن يدلل فلا أكثر من خدم يصبون فوق رأسه الماء حين الاستحمام لينعم ويهنأ ، وهنا كذلك ، ولكن عوض الخدم ملائكة العذاب، غلاظ شداد ، وعوض الماء عذاب الحميم (الحميم المغلي الذي يشوي ويكوي ، ومع الشد والجذب ، والدفع والعتل والكي

والشي .. التأنيب والترذيل : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ وهذا جزاء العزيز الكريم في غير ما عزة ولا كرامة)[1] .

ونلحظ هذه القولة الساخرة : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ . هذا ما ادّعيته في الدنيا وهذا ما يليق بك من إكرام . وتأتي كلمة "ذق" لتقول له تطعّم هذا الطعم واختبره فهو جديد يليق بكرامتك وعزّتك !

هذه السخرية البالغة من القرآن بهذا المتكبر الكافر ، نجد فيها من الإهانة ما لانجده فيما لو كان التعبير مباشراً ؛ ذلك لأنها تخلق حسرةً في نفس الكافر وتنكيلاً به . ومن ثَمّ فهي توجه أنظار الكفار ليرتدوا ويعتبروا ففيها دعوة للصلاح وللنجاة من هذا العذاب الوبيل المر الذي ينتظر المصر منهم .

والله سبحانه وتعالى الخبير بالنفوس وهو خالقها ، يعلم مقدار الأثر الذي تبلّغه هذه السخرية الرائعة المترافقة بصورة مدهشة من صور القرآن . إنها مشهد مسرحي ساخر يعبث وينكّل بهذا المتكبر أي تنكيل ، أتى فيها ائتلاف اللفظ مع المعنى ، لتكون أدق وأقرب .

يقول العالم حفني : (إن سخرية القرآن حينما تتجه إلى عدو فإنها تراعي طبيعة ذاته ونوع نفسيته ، وحينئذ تكون أدق في إصابة الهدف)[2] . وهذه الصورة الساخرة من المتكبرين في القرآن تبعث لا على الاطمئنان والتثبيت عند المسلمين بل والعلو على هؤلاء الكفار المتكبرين الذين يرونهم أمامهم . فهي في الوقت الذي تكون فيه إضعافاً نفسياً للمشركين تكون تقوية نفسية للمسلمين أيضاً .

والقرآن الكريم في سخريته ــ وكما سنرى في آيات أخرى ــ يأتي بقوة

---

١ في ظلال القرآن : ٣٢١٧/٥ .

٢ أسلوب السخرية في القرآن : ٧ .

وثقة وسطوة ، قوة المتمكن الحاسم للأمر ، وفي هذا وقع ثقيل على الأعداء وهز شديد لنفوسهم .

هـ : وننظر في آية أخرى في القرآن ساخرة وفق النمط السابق بقلب المعنى ولكن بمشهد سابق ساخر للكافرين ، ومشهد سابق عليها للمؤمنين وبشكلٍ مفاجئ ينقلب تعبير القرآن من حال المؤمنين الرغيدة في الجنة ليقول : ﴿ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ عائداً على صورة الكافرين الساخرة ليهدمها .ونقرؤها في سياقها مع الآيات التي سبقتها ــ وهذا مهم في فن السخرية ، لتتجلى السخرية في صياغتها بشكل أكبر ــ يقول الله تعالى في سورة المطففين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ ٢٩-٣٦ .

إذاً يظهر الكفار هنا هانئين هازئين بالمؤمنين وقد كلّفوا أنفسهم أن يصفوا المؤمنين بالضالين ، وتظهر صورة المؤمنين في الوجه المقابل ، (يضحكونَ أي يضحكونَ منهم ناظرينَ إليهم وإلى ما هُم فيه من سوءِ الحالِ)[1] وفي النتيجة يعبّر التعبير القرآني ب"**اليوم**" ليجعل الآخرة شاخصةً أمامنا بنتيجةٍ حتميةٍ فيها الفوز للمؤمنين وهم يسخرون من الكفار الخائبين. وتأتي القفلة القرآنية بلفتة مدهشة عَبْر كلمة "**ثُوِّب**" للكفار . وهل يكون الثواب

[1] تفسير أبي السعود ٥ /٥٠٠ . تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض

للكفار ؟! ومتى في الآخرة أيضاً ! ويريد أن يقول لنا القرآن هنا قولاً طويلاً حول نتيجة هؤلاء المخزية في الآخرة يختصرها بهذه اللفظة الساخرة الفاقرة .

لقد قلب القرآن الكريم الموقف عليهم تماماً فما عاد لهزئهم وهنائهم أي معنى ، بل معنى الخيبة والخسران الفظيع . هذا مع العلم أن الحاضر هو للكفار الساخرين المنعمين في واقع الحياة . وواقع المؤمنين هو الضعف والفقر ولكن القرآن يستطيع أن يضعنا بكامل إحساسنا ومشاعرنا مع الصورة الأخرى للمؤمنين في الآخرة ماثلة أمام أعيننا "فاليوم" مضافاً إليها صورة الخسار والبوار للكفار وقد خابوا وغلبوا . **السخرية هنا تظهر رادعاً قوياً للكفر وصافعاً لهم على وجوههم وأذهانهم لينتبهوا . ومبشراً للمؤمنين ببشرى الفرح والفوز والانتصار والثقة بوعد الله الكريم** . وإن مما يزيد من تأثير هذه السخرية هنا هو ما حملته من فن" المماثلة " في الألفاظ ، حيث جاءت متوازنة .

وتطالعنا آية أخرى في القرآن بسخرية جديدة بأسلوب بديع ، وذلك في سورة الحديد ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ الحديد : ١٢-١٤ .

المشهد يستحضره الله تعالى من الآخرة : وقد فاز المؤمنون ــ جعلنا الله منهم ــ وهذه مظاهر الفرح والسرور من جنان وأنهار ونور ، يُبعد عنها المنافقون ــ وقد كان يمكن أن يكونوا مع الفائزين لولا نفاقهم الذي غطوا به على النور الذي عرفوه ــ يقفون متوسلين أن يحظوا من المؤمنين بفضلة من خير ويذكرونهم بأنهم كانوا معهم . فيكون الجواب الساخر ﴿ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا ﴾ (طرد لهم وتهكم بهم)[1] وقد (أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة تهكماً بهم)[2] . وقد (تكون مقالة الملائكة للمنافقين تهكما إذ لا نور وراءهم وإنما أرادوا إطماعهم ثم تخييبهم بضرب السور بينهم وبين المؤمنين ، لأن الخيبة بعد الطمع أشد حسرة . وهذا استهزاء كان جزاء على استهزائهم بالمؤمنين واستسخارهم بهم)[3]

هذه السخرية تقرع المنافقين فوق رؤوسهم ليشعروا بنتيجة أفعالهم التي تنتظرهم ولتشعرهم بخيبة وخسران ما يفعلون . وتأتي السخرية ، أيضاً ، هنا بأسلوب الموجب الذي يعني السلب : التمسوا نوراً .. ؛ إذ لا نور ولا نجاة ، بل الخيبة والثبور . ومع هذه السخرية القرآنية البديعة يصدق قول القائل في السخرية : (إن القراءة الحقيقية للنص ينبغي أن تكون أبعد من ظاهر العلاقات التي يتكون منها النص)[4] .

---

١ الكشاف : ٤٦/٦ ، مكتبة العبيكان .

٢ فتح القدير : ١٧٠/٥ ، دار الفكر .

[3] التحرير والتنوير ٣٨٢/٢٧ـ ٣٨٣

٤ السخرية في روايات بايتسير : ٤٤ .

وقوله : (يمكن القول إن الخطاب الساخر هو خطاب ذو قيمة دلالية مزدوجة ؛ إذ إنه في الوقت الذي يؤكد حقيقة ما ، يقوم بقلبها)[1] .. والقرآن سابق في هذا ، ولله المثل الأعلى ، فهو لا يقلب ليؤكد معنى وينفي آخر فحسب ، بل نجد حشداً من الإدهاش والتنبيه والوعظ والتبكيت مع لوحات ومشاهد تعطي الثقة والثبات والطمأنينة في نفس المؤمن مع نفيها في الكافر ؛ ليعود فيأتمر بأمر الله .

وبهذا ، السخرية في القرآن لا تبقى تجريحاً ، أو قد لا تكون تجريحاً في الأصل ، بل هدفها ، في الكفار ، هو عودتهم من جديد قبل أن يلقوا ذلك العذاب الشديد ، بالإضافة إلى ما في هذه السخرية من وعيد قاطع مؤكد بالعذاب .

وباختصار ، السخرية في القرآن الموجهة للكافرين **هي وخزٌ منبّه ووعيد قاطع** . ووفق هذا الذي تقدم في سخرية القرآن بالكافرين ، نستطيع أن نحكم على الآيات الساخرة الكثيرة في القرآن ومنها :

ـ على لسان إبراهيم عليه السلام لقومه : ﴿ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ ﴾ الأنبياء : ٦٣ ، ساخراً بآلهتهم ومنبهاً لهم .

ـ وقوله تعالى في سورة النحل : ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ٦٢ ﴾ ٦٢ . فيعكس عليهم القرآن أمانيّهم وأكاذيبهم بأن ستكون لهم النار بدل الحسنى هزءاً بهم واستخفافاً بمن يطلب دون أن يعمل ، بل هو في أبعد

---

١ نفسه .

ما يكون .ولا يخفى ما في التعبير القرآني من تأكيدات لهذا الهزء بهم ، حيث لا جرم تفيد معنى التوكيد بما يشبه القسم ، وأن ، وأنهم ، وتقديم الجار والمجرور" لهم " لتقوية المعنى بالقصر. كل هذه التوكيدات ، مع عكس المعنى عليهم ينتج لنا هذا الهزء الكبير بهم الذي يسقط دعواهم ، ويكشف كذبهم .

وفي الحج ، قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ : ١٥ . هنا صورة ساخرة متحدية لأولئك الكفار الذين لا يريدون للرسول صلى الله عليه وسلم أن ينتصر فيقول لهم القرآن إذاً انتحروا غيظاً لعل ذلك يفيدكم ضد محمد صلى الله عليه وسلم ؛ استهزاءً بهم وتضليلاً لعزمهم وكيدهم اللذين لا جدوى منهما ؛ لأن الله تعالى سينصره ، ولكننا نرى أن التعبير القرآني لم يأت بالرد " سينصره ، بل هزئ بهم دالاً على نصره الأكيد لهم . لقد **أتت السخرية هنا مؤكدة للمعنى المطلوب** بأسلوب رشيق متحدّ . وطبعا ، لن يذهب الكفار هذا المذهب ؛ فيشنقون أنفسهم من الغيظ ، ولكنهم سيعلمون ، بهذا ، أنهم مقهورون ، مغلوبون ، لا حيلة لهم ولا فائدة من ظنونهم الخائبة .

ويقول العالم حفني في سخرية الآية هذه (وفي الآية أكثر من سخرية بالكافرين منها صورة قتل النفس بهذه الطريقة ، فإن التصوير نفسه سخرية بهم ومنها أن الموت ليس مذهباً للغيظ كالغاية التي تنشد في إذهاب الغيظ ، ومنها وصف قتلهم أنفسهم بأنه كيد ، والكيد ما يعمله المرء ضد غيره ، وقتلهم أنفسهم ليس كيداً ضد الرسول وإنما هو كيد ضد أنفسهم ، ولكن ذلك كله إمعان في السخرية وتنويع في صورها ووجوهها)[1] .

---

١ أسلوب السخرية في القرآن الكريم : ٤٠٦-٤٠٧ .

هذه هي سخرية القرآن ــ الفن الرائع ــ بالكافرين ألخّصها وباختصار : كانت دفعاً لأذى الأعداء ، وتحذيراً وتنبيهاً وردعاً لهم ، وتأكيداً بعذاب قاطع ، ودعوة للصلاح .

وكانت تثبيتاً للمؤمنين وطمأنة لنفوسهم ، وبشرى لهم ، وفرحاً بعطاء الله الأكيد ، وتسلية لهم وللنبي صلى الله عليه وسلم .

وظهرت في هذه السخرية قوة القرآن أكثر ــ وهو الأقوى ــ وتمكنه من أعدائه . وهي ــ فوق هذا ــ علاج تربوي للمؤمنين بدفع الأذى عن نفوسهم وطمأنتها ، وعلاج تربوي للكافرين بدفعهم عن الكفر والظلم وإظهار نتائجه الوخيمة عليهم ، ودعوتهم للصلاح والاعتدال .

وأقول : لقد كانت سخرية القرآن أيضاً بديلاً عن العقاب ، فكانت بهذا فرصةً للكافرين والمنافقين كي يتراجعوا ، ومما لا شك فيه أن الكثير منهم ، أخيراً ــ تراجع ودخل الإسلام .

وهذه من رحمة الله سبحانه بعباده .

وأضيف أن هذه السخرية **سامية** ، سامية بكل ما في هذه الكلمة من معنى:[1]

لأنها تهدف إلى الإصلاح والهداية.

وتتجه إلى المثال الروحي والأخلاقي .

ومقترنة بالدعوة إلى التفكير والتعقل ٠

وهي بعيدة عن الألفاظ النابية ٠

١ نجد من هذه المعا ني عند العالم حفني في الصفحات من ٣٨٠ إلى ٣٩٠ ٠

ولا تسخر من شخص لذاته ، بل لكونه عقبة في طريق نشر الإسلام ٠

وهي نماذج فريدة لم يطرقها أحد من قبل ٠

وهي واعية رزينة لا تخرج عن هدفها باستفزاز أو فجور ضد الأعداء ٠

وهي جميلة أيضا؛ تنطوي على ذوق لطيف مراعية الموقف وأبعاد الزمان والمكان والمستقبل ٠

ولأنها من رب حكيم عليم فهي لم تجرح مؤمنا قبل إيمانه ؛ كي لا يتأثر بها بعد ٠

وهي أصيلة مستمرة مؤثرة ، وليست عارضة متأثرة ٠

وهي فن راق وليست سبابا وشتائم ٠

وبعد:

إنه ل﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود : ١ صدق الله العظيم

الفصل الثاني :

تأثير القرآن الكريم في السخرية عند العرب

بعد الإسلام

كنت قد أفردت مبحثاً عن السخرية عند الجاهليين (قبل الإسلام) . وها نحن إذ استعرضنا وأظهرنا سخرية القرآن نحاول أن نقف مع السخرية عند العرب بعد الإسلام ، وذلك من خلال أدبهم .

ولنا في هذا هدف أساسي وهو إظهار الأثر الفني للقرآن الكريم (من خلال سخريته) في الأدب العربي بعده . ومن ثم نرى مدى تعلق العربي بالإسلام وتمثل قرآنه حتى في الأدب ، فكانت هذه اللمحات الساخرة البديعة في أدبنا العربي حتى ظهر لها رموزها المبرزين مثل (الحطيئة وجرير وأبي نواس ، والجاحظ ، وابن الرومي ، وبديع الزمان ، والحريري ، وغيرهم) وهذا كمّ غزير قام بهذا الفن وكشف عنه وأسّس له ، فأصبح علامة بارزة في أدبنا .

وسوف أختار شواهد قريبة العهد بعصر الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن ــ في الأغلب ــ؛ كي يكون التأثر بالقرآن أوثق ؛ لأنه قد يقال: إن شاعراً تأثر بشاعرٍ آخر، وناثراً تأثر بناثر آخر ؛ كما سنرى في الرسالة الهزلية لابن زيدون : رسالة التربيع والتدوير .

وقد مرّ بنا من قبل بعض الأمثلة من سخرية المسلمين كقول ابن الرومي [1]

لك أنف يا بن حرب أنفت منه الأنوف

أنت في القدس تصلي وهو في البيت يطوف

ــ معتمداً المبالغة في وصف العيب ليصل إلى صورة هزلية وقوله أيضاً

فيا له من عمل صالحٍ يرفعه الله إلى أسفل

ساخراً بقلب المعنى متلاعباً باللفظ .

وقوله :

قصرت أخادعه وغاب قذاله فكأنه من خشية أن يصفعا

وكأنما صفعت قفاه مرة فأحس ثانية لها فتجمعا

راسماً صورة هزلية مضحكة لمهجوِه .

ومرّ بنا قول غيره [2] :

قبيّلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

غير أني هنا لست بقصد استعراض السخرية في الأدب العربي ــ وذلك خارج نطاق البحث ــ ولكني أقصد كشف نقاط الالتقاء والتأثر في الشعر العربي الإسلامي بسخرية القرآن الكريم . ولنا مثال واضح ذكرناه آنفاً هو قول النجاشي في بني العجلان [3] :

---

١ صفحة : ١٩ ــ٢٠ والهجاء : ٤٩ من موسوعة روائع الشعر العربي

٢ : صفحة : ٢٠

٣ ديوان المعاتي ١/ ١٧٧

قبيّلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

وما سمي العجلان إلا لقيلهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

هنا نلحظ الشاعر متأثراً بالقرآن وأحكام الإسلام من جهة وسخرية القرآن من جهة أخرى ؛ فهو في البيت الأول يسخر منهم لادعائهم الدين عجزاً وضعفاً فيقلب عليهم هذا التدين : شتماً ومسبّةً وكأنه يقول لهم كما قال الله سبحانه لفرعون : ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ يونس : ٩١ . مع فارق التوجيه .

وفي البيت الثاني له نلحظ صدى آخر لسخرية القرآن الكريم وهي قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ المعارج : ٤٣ .

ونقر طبعاً بأن المقاربة بعيدة ولكن أقول : (نلحظ صدى) ولا أؤكد ، وليس من شأن مثل هذه الدراسة التوكيد والبرهان ، وحسبنا ما نجد فيها من تلميح . غير أننا سنلحظ قرباً أكبر بين سخرية القرآن وسخرية الحطيئة عندما قال يهجو الزبرقان بن بدر [1]

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

ملتقياً مع قوله تعالى للكافر : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ الدخان : ٤٩ . فالطاعم الكاسي على معنى المطعم المكسوّ ، والعزيز الكريم على معنى الذليل المهان . فكلتا السخريتين قامتا على قلب المعنى في الألفاظ بأسلوب خطاب مباشر متماثل "إنك" .

ويقول شاعر يعرف بالحلو هاجياً بشار بن برد :

---

١ ديوان المعاني : ٣٨/١ / ، وديوان الحطيئة .

بذلّة والديك كسيت عزاً وباللؤم اجترأت على الجواب

ونجد شيئاً من هذا القلب في المعنى للألقاب عند جرير ، وذلك في مثل قوله [1] :

ألم يك لا أبالك شتم تيم بني زيد من الحدث العظيم

يشينك أن تقول : أنا ابن تيم وتيم منتهى الحسب اللئيم

فأظهر الحدث العظيم ، ومنتهى الحسب ، ليظهر المعنى المعاكس بعد .

وتظهر رسالة ابن زيدون (الهزلية) مثالاً رائعاً في هذا الأسلوب الساخر المعتمد على القلب في المعنى واللفظ وبدايتها (أما بعد أيُّها المصاب بعقله ، المورّط بجهله، البيّن سقطه ، الفاحش غلطه) [2] .

حتى يصل إلى القول الساخر بقولٍ طويلٍ منه : (أنك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال ، واستعليت في مراتب الجلال ، واستوليت على محاسن الخلال حتى خِلت أن يوسف ــ عليه السلام ــ حاسنك فغضضت منه وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه ...) [3] .

وهذه الرسالة انعكاس لرسالة الجاحظ (التربيع والتدوير) الساخرة التي تأتي وفق هذا الأسلوب من قلب المعاني . فهو يقول فيها لأحمد بن عبد الوهاب : (ولو لم يكن فيك من العجب إلا أنك أول من عوده الله تعالى بالصبر على خطأ الحس وبالشكر على صواب الذهن لقد كنت في طولك غاية للعالمين ، وفي عرضك مناراً للمضلين) [4] .

---

١ ديوان جرير : ٦٦٢-٦٦٣ .

٢ ديوان ابن زيدون ورسائله : ٦٣٤ ، ٦٣٥ .

٣ : نفسه : ٦٣٧ . وسرح العيون : ٣ .

٤ قد تكون من باب التوافق أو باب التأثر .

ونجد هذا العكس في المعنى عند أبي نواس يسخر من قِدر الرقاشي فيقول [1] معتمدا على المفارقات أيضا :

ودهماء ترسيها رقاش إذا شتت مركّبة الآذان أمّ عيال

تغصّ بحيزوم الجرادة صدرها وينضج ما فيها اتقاد ذُبال

وتغلي بذكر النار من غير حرّها وينزلها الطاهي بغير حبال

هي القدر قدر الشيخ بكر بن وائل ربيع اليتامى عام كلّ هزال

فهذه القدر تُرسى من ثقلها في الشتاء وهي أم عيال سيطعم منها الكثيرون ولكنها في الحقيقة صغيرة تضيق بصدر جرادة وتغلي بذكر الحَرّ فقط ويعود فيهزأ مشبهاً لها بقدر بكر بن وائل شيخ بني بكر .

وله أيضاً [2] : وجه بنان كأنه قمر يلوح في ليلة الثلاثين

والخد من حسنه وبهجته كطاقة الشوك في الرياحين

ولدت من أسرة مباركة لا عيب فيهم من الشياطين

ونجد أبا دلامة الشاعر الساخر ــ وكان في بداية العصر العباسي ــ يقلب المعاني بشكل آخر ؛ فهو بدل أن يمدح نفسه يذمها وبشكل ساخر طريف ، يقول [3]:

ألا أبلغ لديك أبا دلامة فليس من الكرام ولا كرامة

إذا لبس العمامة كان قردا وخنزيرا إذا نزع العمامة

---

١ ديوان أبي نواس : ٥٢٧ .

٢ نفسه : ٥٤٠ .

٣ المستطرف ٢/ ٧ تحقيق مفيد قميحة

إذا لبس العمامة كان فيها كثور لا تفارقه الكمامة

جمعت دمامة وجمعت لؤما كذاك اللؤم تتبعه الدمامة

فإن تك قد أصبت نعيم دنيا فلا تفرح فقد دنت القيامة

ويعتمد أبو دلامة على المقارنة الساخرة بينه وبين ما ورد في القرآن من ذكر للأنبياء والصالحين فيخرج خاسرا بلا شك ٠ يقول وقد بشر ببنت [١]:

فما ولدتك مريم أم عيسى ولم يكفلك لقمان الحكيم

ولكن قد تضمك أم سوءٍ إلى لباتها وأب لئيم

وفي قصيدة جرير نجد قولاً آخر يتمثل به القرآن الكريم ساخراً من بني تميم [٢] :لنا البدر المنير وكل نجم وفيم التيم من طلب النجوم

على مثل قول القرآن ساخراً من الكافرين : ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ سبأ : ٥٣ . بأسلوب الاستبعاد والاستحالة والتهكم .

ويقول جرير للأخطل ساخراً من خيبته :[٣]

ورميت هضبتنا بأفوق ناصلٍ تبغي النضال فقد لقيت نضالا

وهذا يلتقي مع قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ التوبة : ٣٥ . وقوله تعالى : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ ﴾ الشعراء : ٦ . وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ

١ الأغاني ٣٢/١٨ ٠ تحقيق سمير جابر ٠

٢ ديوان جرير : ٦٦٣ .

٣ نفسه

يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الذاريات : ١٣-١٤ .

ولعلنا نصف هذه السخرية بأنها على ضرب (المشاكلة) ؛ حيث تقوم على الجزاء من نوع العمل .

ونجد نوعاً آخر للسخرية يقدمه لنا حسان بن ثابت ــ رضي الله عنه ــ مستعيراً معنى من معاني القرآن الكريم الساخرة بالكافرين ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ.. ﴾ الأعراف : ١٧٩ . وقوله تعالى في المنافقين : ﴿ ... وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ المنافقون : ٤ .

يقول حسان [١] :

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير

ويقول حسان هاجياً بني الحماس [٢] :

أولاد حام فلن تلقى لهم شبهاً إلا التيوس على أكتافها الشعر

وهو صدى لتتمة الآية الكريمة السابقة : ﴿ .. أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ ﴾ .

١ موسوعة الشعر العربي / الهجاء : ٦٤ .

٢ ديوان حسان : ١١٤ .

وفي القرآن الكريم تكثر كلمة "ذوقوا" .. كما تقدم وهي للسخرية في كثير من معانيها ، كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ العنكبوت : ٥٥ . على سبيل التبكيت والسخرية .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الذاريات ١٣ ــ ١٤ .

وقوله تعالى : ﴿ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ التوبة : ٣٥ .

وقوله تعالى : ﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ ۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ السجدة : ١٤ . وهذا من باب المشاكلة أيضا .

وغير هذه الآيات ، ولقد تلقف الشعراء هذه اللفظة ورددوها بهذا المعنى الساخر مستفيدين من تعبير القرآن الكريم . وعليه جاء قول جرير [1] :

ذوقوا وقد كنتم عنها بمعتزل حرباً تحرّق من حمي وإيقاد

وقول ابن الرومي [2] :

وقلن ذوقوا جناكم إن جانيكم مازل للحنظل الخُطبان نقافا

---

١ ديوان جرير : ١٨٦ . وهو هنا يسخر ويشمت بعمال كلب .

٢ ديوان ابن الرومي : ٢٤٦/٤ . وقال : الجنى (هنا) الحنظل الشديد ، والخُطبان : نبتة شديدة المرارة (لسان العرب :خطب) .

وقول ابن المعتز [1] :

وذاقوا ثمر البغي وخنّاهم كما خانوا

وكُثّير عزة ــ رحمه الله ــ يقف على قوله تعالى : ﴿ وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بسمع من في القبور ﴾ فاطر : ٢٢ . فيحسن الاستفادة من هذه السخرية بقوله :

لقد أسمعت لو نا ديت حيّا ولكن لا حياة لمن تنادي [2]

وهذه سخرية تدخل في العمق وتتجاوز السطح إذ هناك حياة ولكنها كلا حياة في قلة الفهم والاستجابة لداعي الحق .

ويقف شعراؤنا مع قوله تعالى في قوم فرعون وقد ابتلعهم البحر ليطهر منهم الأرض : ﴿ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الدخان : ٢٩ . فيرددونها في شعرهم . فهذا البحتري يقول ساخراً ومتشفياً [3]

طاحوا فما بكت العيون عليهم بدموعها ومضوا بغير سلام

وابن دراج القسطلي يقول أيضاً [4] :

وإن ضاقت بهم أرض فأرض فما بكّت لمثلهم السماء

وهذه السخرية تأتي من باب القلب والعكس لما هو معروف على سبيل الكناية ؛ أن السماء تبكي على من هو فاضل أو حبيب .

---

١ ديوان ابن المعتز : ٦٧٠ : ٦٧٠ .

٢ ديوان كثير عزة : ٩٢ . والبيت وحيد في ديوان بشار : ص ٤٣٤ .

٣ ديوان البحتري :

٤ ديوان ابن دراج القسطلي : ٣٢٩ .

وشبه الله تعالى في قرآنه المجيد الذين يبتعدون عن ولاية الله بأولياء آخرين بأن فعلهم كما هو بيت العنكبوت استهزاءً بهم وأن بناءهم في الهواء قال تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ العنكبوت : ٤١ .

فيأخذ هذا المعنى شاعر فيقول مقللاً من شأن الدنيا ساخراً من تقلّباتها وممن يغترّ بها [١] :

إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت

إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

ويقول عبيدة بن هلال (من الأزارقة) يرد ساخراً من وعيد عمرو بن عبد الله بن معمر التميمي [٢] :

تأن ولا تعجل علينا ابن معمر فلست وإن أكثرت مثل المهلب

كذلك كنا كلنا يا بن معمر وأنت كبيت العنكبوت المذبذب

ويسخر الطرماح من بني تميم فيقول [٣] :

ولو جمعت يوماً تميم جموعها على ذرة معقولة لاستقلّت

ولو أن أم العنكبوت بنت لهم مظلتها يوم الندى لأكنّت

---

١ : الكشكول ١٧٦/٢ .وتنسب الأبيات للإمام علي رضي الله تعالى عنه ٠

٢ ديوان المعاني : ١٧٥/١ .

٣ ديوان المعاني ١٧٥/١

ونجد الشعراء قد حاكوا سخرية القرآن الكريم بحركتها وإيحاءاتها ؛ ففي قوله تعالى : ﴿ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ المنافقون : ٤ ، مصوراً حال المنافقين وهم مذعورون خائفون من أي حركة حولهم وقد اعتراهم الهلع ، نجد الأخطل يقول ساخراً من جرير [١] :

ما زلت تحسب كل شيءٍ بعدهم خيلاً تكر عليهم ورجالا

ويكرر هذا المعنى المتنبي فيقول [٢] :

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم إذا رأى غير شيءٍ ظنه رجلا

هذه النماذج من السخرية في أدبنا العربي التي حاكت سخرية القرآن بلفظها ومعناها وأسلوبها ومبناها ، وإيحائها وحركتها ...

ليس لنا أن نجزم أنها من أثر القرآن الكريم ، ولكن لنا أن نشير إلى أن كمًّا من السخرية ظهر به فحول من مثل الذين ذكرناهم كالحطيئة وجرير والجاحظ وأبي نواس وابن الرومي ، وغيرهم ممن اشتهر وبرز في هذا الفن في القرون الأولى . إن كمًّا كهذا يعطي البيّنة على أنه ما كان ليوجد لولا وجود هذا الفن في القرآن العظيم . وكيف لا ؟! والقرآن مربي الأمة ، عنه وله قامت العلوم ، وما كان ليغفل قوم عن تعبير فني راقٍ حفل به القرآن الكريم ، وهم أهل البلاغة واللسان المبين !

وبهذا أجدني أقف في نهاية الشوط لأختم هذه الفصول بنماذج أخرى من صور السخرية.

---

١ الكشاف : ٥٤٣/٤ . تحقيق عبد الرزاق المهذب .

٢ أسلوب السخرية في القرآن : ٣٨٨ .

الفصل الثالث

نماذج أخرى من صور السخرية

لعله فصل جامع لأشتات ، أو مدرك لما فات ؛ ذلك أنني لدى فصول البحث المتقدمة قد أخذتني الفكرة في شيء ، أو الانضباط بما يقتضيه البحث من التفصيل (الموجز) دون إسهاب في الشواهد والأمثلة ، بل بما يخدم الفكرة مدار البحث ، وبالإضافة لهذا فهناك نقاط صغيرة جانبية أخرى أريد أن أشير إليها هنا ، وأوضحها من خلال نماذج السخرية هذه ، ويظهر لي أن أقسم الفصل هذا إلى مبحثين :

المبحث الأول : في نماذج أخرى من القرآن

المبحث الثاني : في نماذج أخرى من غير القرآن لدى الصحابة والفقهاء وغيرهم .

المبحث الأول :

نماذج أخرى من سخرية القرآن

ويظهر لي هنا أن أشير إلى الأمثال والتمثيل في القرآن بما فيها من سخرية ؛ لأن السخرية تتجلى فيها بشكل أوضح وأشمل بما يشكل لوحة ساخرة كاملة .

ونقف على آيات سورة الحج حول الكافرين والذباب : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٧٣)

تأتي هذه الآية ــ هذا المثل ــ ذكر الله سبحانه وتعالى فيها لما يعبدون واستنكارهم لدعوة الله وآياته ، فيأتي المثل هذا بذكره لأضعف المخلوقات سخرية وهزءاً بهم وبآلهتهم التي يعبدونها ، ولإظهار عجزها وسخف دعواهم ؛ ذلك أن من شأن الإله أن يخلق ، ويخلق كل شيء في الوجود فهل آلهتكم هذه تخلق ذبابة فقط ؟!

وإذا كان المسلمون يعبدون إلهاً واحداً هو الله تبارك وتعالى فما بالكم وأنتم الذين تعبدون آلهة ــ ليس إلهاً واحداً ــ أن لا تستطيع هذه الآلهة بجمعها أن تخلق ذبابة واحدة ، وإذ لم تستطع أهذه آلهة إذاً؟ ! بل إن التعبير القرآني ينزل معهم مستخفاً بهم وبزعمهم إلى أقل من ذلك بكثير ، إلى أن يستنقذوا الذباب ما سلبهم ، فهل أقل من هذا لمن يدّعي الألوهية ، أو من يدعى

له بالألوهية !

وإذا لم يكن هذا ممن يفترض أنه إله فكيف تدعونه إلهاً وهو بهذا الضعف ؟ !

يظهر الله سبحانه وتعالى ضحالة تفكير هؤلاء الكفرة بهذا المثال وضعف حجتهم ، ويأتي التعبير الساخر هنا ليزيد من المفارقة بين الواقع والمنطق الصحيح ، وليظهر هذا العته في التفكير . بل يقرهم على حقيقة هم يدركونها الآن مع المثال هذا وهي ضعف الطالب والمطلوب ؛ أي ضعف آلهتهم .قال في المنتخب : (وما أضعف الذى يُهَزْم أمام الذباب عن استرداد ما سلبه منه ، وما أضعف نفس الذباب ، كلاهما شديد الضعف ، بل الأصنام كما ترون أشد ضعفا ، فكيف يليق بإنسان عاقل أن يعبدها ويلتمس النفع منها؟)[1]. نعم قرن الله سبحانه آلهتهم إلى الذباب في صفة واحدة : الضعف ؛ فكلاهما ضعيف بل ضعف الآلهة هذه ــ التي يُفترض أنها تخلق ــ أكثر من ضعف الذباب ؛ لأن الذباب يسلبها ولا تستطيع هذه الآلهة استرداد ما سلبها ، فهل هناك أبلغ من سخرية كهذه تضع آلهتهم إلى جانب الذباب ، فإذا الذباب أقوى وأنفذ ! .

يقول صاحب الظلال ــ رحمه الله :(والذباب صغير حقير؛ ولكن هؤلاء الذين يدعونهم آلهة لا يقدرون ولو اجتمعوا وتساندوا على خلق هذا الذباب الصغير الحقير!

وخلق الذباب مستحيل كخلق الجمل والفيل . لأن الذباب يحتوي على ذلك السر المعجز سر الحياة . فيستوي في استحالة خلقه مع الجمل والفيل . . ولكن الأسلوب القرآني المعجز يختار الذباب الصغير الحقير لأن العجز عن خلقه يلقي في الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل

[1] المنتخب / لجنة من علماء الأزهر . ٧٤/٢

والفيل! دون أن يخل هذا بالحقيقة في التعبير . وهذا من بدائع الأسلوب القرآني العجيب!

ثم يخطو خطوة أوسع في إبراز الضعف المزري : ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ . . والآلهة المدعاة لا تملك استنقاذ شيء من الذباب حين يسلبها إياه ، سواء كانت أصناماً أو أوثاناً أو أشخاصاً! وكم من عزيز يسلبه الذباب من الناس فلا يملكون رده . وقد اختير الذباب بالذات وهو ضعيف حقير . وهو في الوقت ذاته يحمل أخطر الأمراض ويسلب أغلى النفائس : يسلب العيون والجوارح ، وقد يسلب الحياة والأرواح . . إنه يحمل ميكروب السل والتيفود والدوسنتاريا والرمد . . ويسلب ما لا سبيل إلى استنقاذه وهو الضعيف الحقير! .

وهذه حقيقة أخرى كذلك يستخدمها الأسلوب القرآني المعجز . . ولو قال : وإن تسلبهم السباع شيئاً لا يستنقذوه منها . . لأوحى ذلك بالقوة بدل الضعف . والسباع لا تسلب شيئاً أعظم مما يسلبه الذباب! ولكنه الأسلوب القرآني العجيب!

ويختم ذلك المثل المصور الموحي بهذا التعقيب : ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ . ليقرر ما ألقاه المثل من ظلال ، وما أوحى به إلى المشاعر والقلوب! وليختم بما يسمى في علوم البلاغة ب " إرسال المثل"

وفي أنسب الظروف . . والمشاعر تفيض بالزراية والاحتقار لضعف الآلهة المدعاة يندد بسوء تقديرهم لله..)[1]

طبعاً، ولا تخفي سخرية القرآن كلها ــ بالإضافة إلى هذه ــ من توجيه الفكر إلى الصواب والصح وذلك في هذه القفلة ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ

١ في ظلال القرآن : دار المعرفة ـ بيروت : ٥ / ٦٢٩ .

وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ حقيقة مستخلصة من المثال توضع أمام أعين وأذهان الكافرين ليتبصروا ويفهموا الحق كي ينقادوا له .

وعلى مثل هذا المثال يأتي قوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤٢ ﴾ العنكبوت ٤٢ .

وهنا يأتي المثل إلى شيء أضعف من الذباب وهو بيت العنكبوت فهل لبيت العنكبوت من قوة تدفع عن الملتجئ فيه! فكذلك شأن من اتخذ من دون الله أولياء ، في مقاربة ومشابهة بين أولياء الكفرة هؤلاء وبيت العنكبوت .

وليس أوهى من بيت العنكبوت فاللاشيء أدفع منه عن صاحبه ، نعم ،لأن اللاشيء لا يمحو من نفس طالب الحماية حالة نفسية أو معنوية يلجأ إليها كأن يعتمد على احتمال أن لا يقع عليه المكروه أو لا يصيبه ما قد يقع ، إنما من يلجأ إلى بيت العنكبوت ليحتمي فهو في ذعر وخوف أكبر، فإن لم يصبه الخطر فهو في خطر قد وقع فيه . و(المقصود من المثل تجهيل المشركين وتقريعهم ، حيث عبدوا من دون الله – تعالى – آلهة ، هى فى ضعفها ووهنا تشبه بيت العنكبوت ، وأنهم لو كانوا من ذوى العلم لما عبدوا تلك الآلهة)[١١]

[١١] تفسيرمحمد سيد طنطاوي ص ٣٣١٤

والتشبيه ببيت العنكبوت سخرية بالغة راقية تستخف وتضحك من أولئك الذين يستترون ويحتمون ببيت العنكبوت ، وهل هناك من يفعل هذا ؟! فهذا شأن من يلجأ لغير الله محتمياً به ، وهذه حالة من الوهن العقلي والهتر في التفكير ، والسخف فيه .

وكما قلنا سابقاً إن سخرية القرآن لا تلجأ للشتيمة أو الفحش بل تعكس واقعاً ملموساً يعرفه هؤلاء من ضعف آلهتهم وبطلانها فتأتي لتوضيح المعنى، أولاً، ثم لتوضح لهم أن حالهم مكشوفة في دعواهم وأباطيلهم ، ومن ثم لتضعهم على الطريق الصواب إن أذعنوا للحق ، والمثل مضروب مما بين أيديهم، وليس ببعيد عنهم أن يتفحصوا هذا البيت للعنكبوت فيكشفوا ما بهم من سفاهة وسخف في العبادة ولكنهم إذ يتكبرون وينكرون الحق سيقولون:(إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك)([1]) ليخفوا ما في صدورهم من حرج. ويفصل الزمخشري هذا التشبيه الرائع فيقول ([2]): (مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتاً بالإضافة إلى رجل يبني بيتاً بآجر وجص أو ينحته من صخر ، وكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت ، كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها ديناً ديناً عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون).

إن سخرية كهذه جديرة أن تزعزع كيان هؤلاء العتاة على جبروتهم وقسوتهم على المسلمين في مكة ، وتضع ما بهم من اعتداد، وليس أجدر من

---

١ الكشاف ٠ مكتبة العبيكان ٥٥٠/٤

٢ الكشاف ٥٤٩/٤ ٠ مكتبة العبيكان.

السخرية للفتّ في عضد هؤلاء وإلا فما كان شأنهم تجاه التحدي بالفكر والمنطق إلا أن يشتدوا أكثر ويقولوا ساحر كذاب ".

نعم إن سخرية القرآن لا تأتي من طرف المواجهة ؛ فهم قد تحصنوا وأعدوا العدة للأفكار ، ولكنها تأتي من أطراف نفسية مكشوفة للكفار هؤلاء لتنفذ إلى أعماقهم ، وما كانوا ليستطيعوا الحيطة أو الثبات .

هذا ولكن زوجة أبي لهب ــ أم جميل ــ بعد أن سخر القرآن بها في سورة المسد ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ تخسيساً لحالها ، وتحقيراً لها وتصويراً لها بصورة بعض الحطابات من المواهن) [١]

تأتي (ولها ولولة وفي يدها ما يملأ الكف) [٢] تريد ضرب محمد صلى الله عليه وسلم فهذه لأنها امرأة ظهر ما بها من شدة جراء سخرية القرآن بها ولم تستطع الاحتمال أو المدارة كأولئك .

وأمثلة أخرى من القرآن تدور مدار السخرية بأولئك الكفار تكشف سفاهتهم وغيهم المظلم دون تفكير :

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٧١﴾ البقرة ١٧١) ٠ هنا إظهار لطبيعة هذا الكفر فهو عمى أصم أو صمم أعمى بل هو ترديد منكر مشؤوم عندهم لتصور شؤم ما هم فيه وترديدهم الكلام ، دون فهم ودراية ودون عقل كما كان شأنهم في (المكاء والتصدية) استخفافاً وهزءاً بهم ، وهذا يكشف ما بهم

١ الكشاف : ٨٢١/٤.مكتبة البيكان٠
٢ السيرة الحلبية ٤٦٦/١.

من فقدان لتوازنهم وخسف لبلاغتهم أمام الحجج الدامغة التي يصدمون بها فلا يحرون جواباً إلا بهذا الهذي واللفظ الشئيم عليهم قبل غيرهم .

ويقول صاحب الأساس رحمه الله : " شبه الكافرين بالبهائم من حيث إن الكافر إذا دُعي للإيمان لا يسمع من الدعاء إلا جرس النغمة ودويّ الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار ، وكذلك الحيوانات لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه ولا تفقه منه شيئاً آخر " [1] .

وقال السمين الحلبي ناقلا عن غيره هذا : (فشبَّه داعيَ الكفارِ براعي الغنم في مخاطبتِهِ مَنْ لا يَفْهَمُ عنه ، وَشَبَّه الكفارَ بالغنَمِ في كونِهِم لا يسمعونَ مِمَّا دُعُوا إليه إلاَّ أصواتاً لا يَعْرفون ما وراءها)[2]

إن مثلاً كهذا في القرآن الكريم يجبه الكافرين بحقيقتهم فهم لا شيء وليس عندهم شيء يواجهون به وما بهم من عدة يزيفون بها الحقائق فهي ثغاء وغثاء لا طائل تحته .

والقرآن إذ يهزأ بهم فيصورهم بهذه الصورة الفارغة ــ بنعيق أجوف ثم بإجابة بلهاء ــ لا يبقي لهم أمام أنفسهم قواماً يقومون به ، فهم مكشوفون ومعروفون أمام من يدّعون أمامه بالكبر والجبروت.

صورة من القرآن ساخرة تمسخ عجبهم وكيانهم وتعيدهم إلى دائرتهم المفرغة فليس ثمة ما ينفع إذاَ !

---

١ الأساس في التفسير : دار السلام : ٣٧٢/١.
٢ الدر المصون ٢ /

هذا هو القرآن ببلاغته وبلاغة سخريته التي لا تبقي لذي لب جواباً، نتفهمها أكثر بهذه الوقفات .

والتعبير القرآني التمثيلي الساخر هذا بالكافرين لا يقف عند تشبيههم بالعجماوات هذه أو ﴿ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ المدثر ٥٠ ، بل نراه يصل في تشبيههم إلى كونهم موتى وليس أقل من ذلك ، وفي آية مشابهة في قسم منها للآية السابقة يقول الرحمن تبارك وتعالى : ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾ الروم : ٥١ – ٥٣

بل يأتي القرآن إلى تشبيههم بالكلب تسفيهاً لهم وإذلالاً لشأنهم وذلك مثل الذين كفروا من اليهود ، يقول تعالى : ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ الأعراف : ١٧٥ – ١٧٦ .

الصورة هنا تعبر عن هذا الضلال والضياع في الكافر وقد أعمته ضلالته فإذا به شقي على كل أحواله ــ وليس الكلب هو الشقي لأنه من طبعه هذه الحال ـــ وهذه الصورة عندما تظهر الكافر بهذه الحالة الساخرة إنما

تبعده عن أي فاعلية في كفره وعن أي جدوى نتيجة عناده فيبوء بهذا التشبيه اللاهث الذي لا يدرك مطلباً أبداً ، أو لا يشفيه مطلب أبداً وفق قول الشعراوي رحمه الله الذي يقول : "(والإنسان الذي يتبع منهج الله تعالى يكون مضطرب الحركة في الحياة حتى وإن كان في نعمة لأنه معزول عن الله وما دام معزولاً عن الله تجده دائم التساؤل أيدوم لي هذا النعيم أو لا يدوم ، ويعيش دائماً في قلق ورعب مخافة أن يفوت النعيم أو ألا يدوم له النعيم ، ومثله كالكلب يلهث حال راحته ويلهث حال تعبه)" [١].

بل إن هذا الكافر لا تجدي معه هداية أبداً "(إن وعظته فهو ضال ، وإن لم تعظه فهو ضال لأجل أن ذلك الضلال والخسارة عادة أصلية وطبيعية ذاتية له)" [٢] كعادة الكلب في اللهاث ، وقال القشيري: "(من أخلاق الكلب التعرض لمن لم يخفه على جهة الابتداء ثم الرضا عنه بلقمة ، كذلك الذي ارتد عن طريق الإرادة يصير ضيق الصدر سيء الخلق يبدأ بالجفاء كل بريء ثم يهدأ طياشه بنيل كل عرض خسيس ") [٣] . وعقب الزحيلي على من هذه حاله فقال :

(وأصبح مثله أو صفته في الذلة والحقارة، والخسة والدناءة كمثل الكلب أو صفته في أخس أحوالها وأذلها، وهي حال دوام اللهث به، سواء حمل عليه أي شد عليه وطرد، أو ترك دون طرد.

---

١ تفسير الشعراوي : ٥٩٢/٧ .
٢ تفسير الرازي : ٥٧/١٥ .
٣ تفسير القشيري : ٢/ ٤٦٧ - شاملة

وهذه الصفة هي أقبح حالات الكلب وأخسها، وقد شبّه بها حال عجيبة غريبة، هي حال ذلك الذي تجرد من معرفة آيات اللّه تعالى)[1]

والصورة هنا ــ كما في غيرها ــ تقوم بتوضيح المعنى وتعميقه وتعطيه حالة مؤثرة ، فتعمق الإحساس به ولنا أن نتصور الكافر وهو يرى نفسه كهذا الكلب لا يهدأ له حال !

أليست صورة مربكة تزلزل ثباته وإصراره؟ ومن ثم تظهر خيبته وبواره ، **نعم إن للتصوير أثراً لا يبلغه المعنى المنطقي أبداً ، وإذا أضفنا إلى الصورة السخريةَ وجدتَ المعنى يفوق في تأثيره كل بيان ، وهذا ما حرص عليه القرآن الكريم في جملة ما حرص .**

ونقف مع قوله تعالى ــ مرة أخرى ؛ لنفصل أكثر ــ في قوله على لسان أهل الجنة ردا على أهل النار : ﴿ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ ﴾ : الحديد ١٢ – ١٥.

---

١ التفسير المنير ٩ / ١٦٣

إن حركة كهذه للمؤمنين الفائزين في هزئهم بالمنافقين تظهر ما في المؤمنين من فرح بفوزهم وسرور بنتيجتهم ، ومن ثَم ، فليلق المنافقون

سوء مصيرهم وعاقبة نفاقهم ، فيعيدونهم إلى ورائهم مما قدموا من كيد وضرر للإسلام والمسلمين ، فهل ذلك يؤهلهم لطلب النور ! ومن ثم فهي إشارة ساخرة فيها كيد لهؤلاء المارقين وسخرية بهم : ألا فانظروا وراءكم ، وقد يتهيأ للمنافق أن ينظر وراءه أملا في أن يجد خلاصا له ولكن هيهات!

إن هذه السخرية تكشف خيبة هؤلاء وبوارهم ؛ وقد انقلبوا بخزيهم يطلبون ويتوسلون ؛ لأجل الخلاص ، ولا خلاص ٠ وتأتي هذه السخرية أيضا لتزيد من خزيهم وبوارهم ، ولتقفهم على أفعالهم من قبل ومصيرهم الحاضر الخاسر٠ جاء في تفسير الألوسي :

(﴿ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ ﴾ قال ابن عباس : أي من حيث جئتم من الظلمة أو إلى المكان الذي قسم فيه النور على ما صح عن أبي أمامة ﴿ فَٱلۡتَمِسُوا نُورٗا ﴾ هناك ، قال مقاتل : هذا من الاستهزاء بهم كما استهزءوا بالمؤمنين في الدنيا حين قالوا ﴿ ءَامَنَّا ﴾ البقرة : ١٤ وليسوا بمؤمنين ، وذلك قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ البقرة : ١٥ أي حين يقال لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ، وقال أبو أمامة : يرجعون حين يقال لهم ذلك إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور وهي خدعة الله تعالى التي خدع بها المنافقين حيث قال سبحانه : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ النساء : ١٤٢ ، وقيل : المراد ارجعوا إلى الدنيا والتمسوا نوراً أي بتحصيل سببه وهو الايمان أو تنحوا عنا والتمسوا

نوراً غير هذا فلا سبيل لكم إلى الاقتباس منه ، والغرض التهكم والاستهزاء أيضاً .

وقيل أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم وهو خلاف الظاهر)[1] . وقال الزحيلي ــ حفظه الله : (قِيلَ لهم، استهزاء بهم. ارْجِعُوا وَراءَكُمْ إلى الدنيا. فَالْتَمِسُوا نُوراً أي إلى حيث شئتم، فاطلبوا نورا آخر، فإنه لا سبيل لكم إلى هذا، وهذا تهكم بهم وتخييب من المؤمنين أو من الملائكة)[2]

ومثل هذه الآية قوله تعالى ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ الأنبياء ١١ – ١٣ .

وفي الآيات سخرية أخرى هي قوله تعالى :﴿ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ قال الزحيلي :(مَأْواكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ أسلوب تهكمي، أي لا ولي لكم ولا ناصر إلا نار جهنم)[3].

ومع نص آخر من القرآن الكريم ، نص تمثيلي ، نجد فيه السخرية البالغة من المنافقين، أولئك الذين كانوا يظنون أنهم يسخرون من المؤمنين ! فأتتهم سخرية القرآن مصورة حالهم بشكل كامل من الداخل والخارج وتكشف زيفهم ، وظنوا أنهم مستورون . قال تعالى :

١ تفسير الألوسي روح المعاني / دار إحياء التراث : ٢٧ /١٧٦ـ ١٧٧ .
٢ التفسير المنير ٢٧/ ٣٠٨ .
٣ التفسير المنير ٢٧ / ٣٠٨ .

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) البقرة .

نجد ،أولا، أن القرآن يرد على سخريتهم ردا مباشرا ؛ بأنه يسخر منهم كما يسخرون (الله يستهزئ بهم) ، وهم يعرفون الله سبحانه ، ولكنهم ينحرفون عنه طلبا لمصالحهم ، وحقدا على المؤمنين ، ويعلمون وقع سخرية الله بهم . ويعلق صاحب الظلال على هذا الاستهزاء من الله سبحانه مبينا (فيدعهم يخبطون على غير هدى في طريق لا يعرفون غايته واليد الجبارة تتلقفهم في نهايته كالفئران الهزيلة تتواثب في الفخ غاقلة عن المقبض المكين . وهذا هو الاستهزاء الرعيب لا كاستهزائهم الهزيل الصغير)[1] .

[1] في ظلال القرآن .٤٥/١ دار الشروق . ط ١٩٧٢

ولكن ليس بهذا الرد ، بهذه السخرية المباشرة ، فقط ، بل بسخرية أسلوبية أخرى (فما ربحت تجارتهم !) ، ومن ثم بتفصيل وتمثيل مرسلين ، وكأنهما مستقلان عن الرد الأول ، وكأن السخرية بهما تأتي لتكون عامة أكثر ، وإن كانت تتحدث عن هؤلاء المنافقين بعينهم .

إذاً نحن هنا أمام سخرية منوعة ، يجمعها هذا النص القرآني ، تتصل هذه الأنواع لتكشف عن أحوال المنافقين أغلبها .

ومن حال هؤلاء أنهم يسخرون من المؤمنين بالتفاف ومخادعة ظانين أنهم مستترون ، **وتأتي سخريتهم إرضاء لأحلافهم ، وكسبا لودهم ،** وسمى القرآن الكريم أحلافهم بالشياطين إظهارا لخيبة هؤلاء المنافقين أكثر ؛ فالشياطين يضلونهم لينحرفوا عن إيمانهم ، ويخدعونهم ليضلوا أكثر ، فهم في خيبة حتى مع شياطينهم الذين يلعبون بهم ، وبالمقابل فهم في خيبة مع الله سبحانه : (الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) ، وإذا كان ما يفعلونه تجارة ليكسبوا من المسلمين بخداعهم لهم ، ومن الكافرين بانضمامهم إليهم (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) .

تأتي هذه الآية تصور حالهم **بسخرية عميقة ، لا تعتمد هنا على المباشرة أو المبالغة في الهزء ، بل على تصور عقلي** ، يتأمل في حال هؤلاء المنافقين الذين يشترون الضلالة بالهدى ! فإذا بها تجارة خاسرة كشفت عن خيبتهم وضياعهم (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) .

وتسمية القرآن الكريم لنفاقهم بأنه تجارة ، ومن ثم تجارة خاسرة ، فهو هزء كبير بهم ؛ذلك أن من يتاجر يفترض أنه سيربح ، وأنه على خبرة في فنون البيع والشراء ، فإذا به خاسر وضال هنا أيضا ؛ لأنه واضع جهده وفنونه في مكان معكوس ! وحاله مكشوف في الضلال لم يفلح في إخفائه .

قال صاحب التحرير والتنوير :(وعبر بـ**ما كانوا مهتدين** دون ما اهتدوا ؛ لأن **ماكانوا** أبلغ في النفي لإشعاره بأن انتفاء الاهتداء عنهم أمر متأصل سابق قديم)[1]

إذا ، هذا النص القرآني ، بعد أن يصور لنا حال المنافقين أولئك في خداعهم وهزئهم فيرد عليهم بهزء مماثل ، يصور لنا حالهم بسخرية أخرى تكشف خسارتهم وضياعهم . وبعد ، يأتي ليمثل لنا ضياعهم هذا، وسخريته بهم بصور رائعة مذهلة ، متعددة متكاملة ، أولاها: إنها حال الذي (**اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ(١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨)**)

قال صاحب الكشاف مبينا قيمة التمثيل هنا :

(لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميماً للبيان . ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ، ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد . وفيه تبكيت للخصم الألد ، وقمع لسورة الجامح الأبيّ)[2]

ويسأل الزمخشري ويجيب في معنى هذا التمثيل :

(فإن قلت : فيم شبهت حالهم بحال المستوقد؟ قلت : في أنهم غب الإضاءة خبطوا في ظلمة وتورّطوا في حيرة . فإن قلت : وأين الإضاءة في

[1] التحرير والتنوير : ٣٠٠/١
[2] الكشاف ١٩٠/١-١٩١ تحقيق عادل أحمد وعلي محمد

حال المنافق؟ وهل هو أبداً إلا حائر خابط في ظلماء الكفر؟ قلت : المراد ما استضاؤوا به قليلاً من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم [يعني كلمة الشهادتين] ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد .)[1]

وقال العلامة ابن عاشور ؛ معقبا على كلمة ظلمات ومعنى الآية :
(ويتعين في هذه الآية أن جمع ظلمات أشير به إلى أحوال المنافقين ، كل حالة منها تصلح لأن تشبه بالظلمة وتلك هي : حالة الكفر ، وحالة الكذب ، وحالة الاستهزاء بالمؤمنين ، وما يتبع تلك الأحوال من آثار النفاق . وهذا التمثيل تمثيل لحال المنافقين في ترددهم بين مظاهر الإيمان وبواطن الكفر ، فوجه الشبه هو ظهور أمر نافع ثم انعدامه قبل الانتفاع به ، فإن في إظهارهم الإسلام مع المؤمنين صورة من حسن الإيمان وبشاشته ، لأن للإسلام نورا وبركة ثم لا يلبثون أن يرجعوا عند خلوهم بشياطينهم فيزول عنهم ذلك ويرجعوا في ظلمة الكفر أشد مما كانوا عليه لأنهم كانوا في كفر فصاروا في كفر وكذب وما يتفرع عن النفاق من المذام ، فإن الذي يستوقد النار في الظلام يتطلب رؤية الأشياء ، فإذا انطفأت النار صار أشد حيرة منه في أول الأمر، لأن ضوء النار قد عود بصره فيظهر أثر الظلمة في المرة الثانية أقوى ، ويرسخ الكفر فيهم ، وبهذ تظهر نكتة البيان بجملة " لا يبصرون " لتصوير حال من انطفأ نوره بعد أن استضاء به)[2]

هذه الصور من حال المنافقين التي نراها في هذا التمثيل هي تابعة للسخرية السابقة ومعززة لها أكثر ؛ **لتفضح هؤلاء المنافقين وتحط من شأنهم** . وليس هذا فحسب ، بل سنجد تمثيلا آخر أقوى وأشمل ، فيه

[1] نفسه ١/ ١٩٤
[2] التحرير والتنوير . الدار التونسية ص ٣١٢/١

تصوير لحال هؤلاء ،وأمثالهم ، من الكفرة ، ينطوي ـ مع ما سبقه ـ على هزء عاصف وسخرية جادة ترمي بهم ، وبسخريتهم في الحضيض ؛ وذلك قوله تعالى ، بعد الآيات السابقة: () **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (٢٠) البقرة .

هنا صورة من صور القرآن المذهلة في تركيبها ودلالتها الساخرة القاهرة .

والمعنى الذي يظهر في هذه الآية هو تصوير المنافقين ، على أنهم في اختلاط وقلق وضياع في حالهم ؛ فهم بين نور الإيمان وظلمة النفاق ، وقلق الضياع والحيرة والخوف والخسران . والنور هذا الذي يرونه إنما يصبح عليهم وبالا لابتعادهم عنه ، وتركهم له ، وعدم استئناسهم به ، فهو الآن برق يخطف أبصارهم ، ويتركهم مقعدين ـ إذ ابتعدوا عنه ـ لا يستطيعون عملا ولا حيلة .

ولعل كلمة (صيّب) ، التي هي المطر الشديد المفزع ، تأتي خير تعبير عن حالهم ؛ لما فيها من خير ودمار وهلاك ؛ فإذا كانوا قد احتووا على خير بعض إيمانٍ ظاهر ، فهم على دمار وهلاك يأتيهم من حيث آمنوا فارتدوا. يقول الطاهر عاشور رحمه الله : (أُعِيدَ تَشْبِيهُ حَالِهِمْ بِتَمْثِيلٍ آخَرَ وَبِمُرَاعَاةِ أَوْصَافٍ أُخْرَى فَهُوَ تَمْثِيلٌ لِحَالِ الْمُنَافِقِينَ الْمُخْتَلِطَةِ بَيْنَ جَوَاذِبَ وَدَوَافِعُ حِينَ يُجَاذِبُ نُفُوسَهُمْ جَاذِبُ الْخَيْرِ عِنْدَ سَمَاعِ مَوَاعِظِ الْقُرْآنِ وَإِرْشَادِهِ، وَجَاذِبُ الشَّرِّ مِنْ أَعْرَاقِ النُّفُوسِ وَالسُّخْرِيَةِ بِالْمُسْلِمِينَ،

بِحَالِ صَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ اخْتَلَطَتْ فِيهِ غُيُوثٌ وَأَنْوَارٌ وَمُزْعِجَاتٌ وَأَكْدَارٌ)[1] .

ويقول الزمخشري ـ رحمه الله ـ في معنى هذه الأية : (لقائل أن يقول : شبه دين الإسلام بالصيب ، لأنّ القلب تحيا به حياة الأرض بالمطر . وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات . وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق . وما يصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق)[2]. **ويقول** :(وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون ، إذا صادفوا من البرق خفقة)[3].

وصاحب الظلال يحلل التمثيل هذا أكثر فيقول :(إنه مشهد عجيب ، حافل بالحركة ، مشوب بالاضطراب . فيه تيه وضلال ، وفيه هول ورعب ، وفيه فزع وحيرة ، وفيه أضواء وأصداء . . صيب من السماء هاطل غزير { فيه ظلمات ورعد وبرق } . . { كلما أضاء لهم مشوا فيه } . . { وإذا أظلم عليهم قاموا } . . أي وقفوا حائرين لا يدرون أين يذهبون . وهم مفزعون : { يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت } . .

إن الحركة التي تغمر المشهد كله : من الصيب الهاطل ، إلى الظلمات والرعد والبرق ، إلى الحائرين المفزعين فيه ، إلى الخطوات المروعة الوجلة ، التي تقف عندما يخيم الظلام . . إن هذه الحركة في المشهد لترسم – عن

[1] التحرير والتنوير ١/٣١٤ ـ ٣١٥ . الدار التونسية ـ طبعة ١٩٨٤
[2] الكشاف ١ /١٩٩ تحقيق أحمد عبد الجواد وعلي محمد
[3] نفسه ١/٢٠٧

طريق التأثر الإيحائي – حركة التيه والاضطراب والقلق والأرجحة التي يعيش فيها أولئك المنافقون . . بين لقائهم للمؤمنين ، وعودتهم للشياطين . بين ما يقولونه لحظة ثم ينكصون عنه فجأة . بين ما يطلبونه من هدى ونور وما يفيئون إليه من ضلال وظلام . . فهو مشهد حسي يرمز لحالة نفسية؛ ويجسم صورة شعورية)[1].

إن القرآن الكريم إذ يفصّل ويمثّل لحالة المنافقين بهذا العمق المهين لهم المصور لحالهم ، إنما يبني مواجهته لهم على محور السخرية بهم ؛ ليفضحهم أكثر ، ويتضح هذا من الآيات الأولى التي بدأت بالحديث عنهم : **(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** (٩) ، حيث نرى في الآية الثانية (٩) (وما يخدعون إلا أنفسهم) استهزاء بهم ، وتبديدا لجهودهم ، وكشفا لغبائهم . يقول السيد : (ونعود إلى هؤلاء الذين يخادعون الله والذين آمنوا بقولهم : آمنا بالله وباليوم الآخر . ظانين في أنفسهم الذكاء والدهاء . . ولكن يا للسخرية! يا للسخرية التي تنصب عليهم قبل أن تكتمل الآية :{ وما يخدعون إلا أنفسهم ، وما يشعرون } . . إنهم من الغفلة بحيث لا يخدعون إلا أنفسهم في غير شعور! إن الله بخداعهم عليم؛ والمؤمنون في كنف الله فهو حافظهم من هذا الخداع اللئيم)[2].

ويقول الطاهر عاشور ـــ رحمه الله ـــ (وإذا علمت أن قوله :(ومن الناس) مؤذن بأن المتحدث عنهم ستساق في شأنهم قصة مذمومة وحالة شنيعة إذ لا يُستر ذكرهم إلا لأن حالهم من الشناعة بحيث يستحي المتكلم أن يصرح بموصوفها وفي ذلك من تحقير شأن النفاق ومذمته أمر كبير ،

[1] الظلال ص ٤٦/١ . دار الشروق ط١٩٧٢
[2] الظلال : ٤٣/١ دار الشروق ط١٩٧٢

فوردت في شأنهم ثلاثَ عشرة آيةً نُعِيَ عليهم فيها خُبثهم ومكرهم ، وسوء عواقبهم) [1]

هذا يظهر لنا هنا أن السخرية أساس انطلق منها التعبير القرآني في مواجهته لأولئك المنافقين ؛ لما للسخرية من أثر في دحر الخصم والتنكيل به ، وما لها من تثبيت للمؤمنين . ولقد قامت هذه السخرية بكشف أحوال المنافقين المتهالكة ، وألاعيبهم الكاذبة ، وأظهرتهم بتصرفاتهم الرعناء المشينة ، ومثلت (حالهم في أشنع الصور) [2]، وفضحتهم بتناقضاتهم الساقطة . يقول الشعراوي ــ رحمه الله تعالى : (إن المنطق لا يستقيم ويدل على سفاهة عقول المنافقين، أنَّ هذه العقول لم تتنبه إلى أنها حينما وصفت المسلمين بالسفهاء، قد أدانت نفسها، لأن المنافقين يدعون أنهم مؤمنون، إذن فكل تصرفات المنافقين فيها تناقض. تناقض مع العقل والمنطق، هذا التناقض يأتي من تناقض ملكات النفس بعضها مع بعض.. فاللسان يكذب القلب. والعمل يكذب العقيدة. والتظاهر بالإيمان يحملهم مشقة الإيمان ولا يعطيهم شيئا من ثوابه. ولو كان لهم عقول، لتنبهوا إلى هذا كله، ولكنهم لا يشعرون وهم يمضون في هذا الطريق، طريق النفاق، إنهم يجسدون السفاهة بعينها، بكل ما تحمله من حمق واستخفاف، وعدم التنبه إلى الحقيقة، والرعونة التي يتصرفون بها . والله سبحانه وتعالى حين وصفهم بالسفهاء، كان وصفا دقيقاً، لحالتهم وطريقة حياتهم) [3]

[1] التحرير والتنوير ٣٣١/١ الدار التونسية . طبعة ١٩٨٤
[2] نفسه
[3] تفسير الشعراوي ١٥٨/١

هذه هي السخرية هنا ، أتت موقفا كاملا ، مواجهة للمنافقين بأغلب أحوالهم ، وكاشفة عن سوئهم ؛ لنرى أنها أسلوب مكين من أساليب القرآن الكريم ، وقد وجدنا هذا في نصوص قرآنية كثيرة من قبل .

وفي قصة إبراهيم ــ عليه السلام ــ والأصنام لنا مثال واضح ومتميز في السخرية ؛ وذلك في قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا

يَـٰنَارُ كُونِى بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿

إننا نجد في هذه الآيات سخريات عدة ، تأتي من إبراهيم عليه السلام ، مواجها بها قومه ٠ تظهرالسخرية الأولى في الآية / ٦٣ / :﴿ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَـٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾٠ بل إن إبراهيم ــ عليه السلام ــ تبدأ سخريته بهم واستخفافه بما يعبدون منذ أن ترك كبيرهم هذا ، ولم يحطمه ! قاصدا إظهار سخف عبادتهم وهزئه بها ، ومن ثم ، عندما سألوه : من فعل هذا بآلهتنا ؟ أعادهم إليه ؛ إلى هذا الكبيـــــــــر الذي تتخذونه إلها ! : وما دام إلها ــ كما تقولون ــ فهو الذي فعل هذا ! إذ كيف يُفعل "بحضرته" شيء لا يريده هو ، وكيف لا يعلمه! ومن ثَم ، ما دامت تلك المحطمة آلهة فهي تعلم ، وتُعلِم عمّن حطمها أيضا ، فكيف بكم تسألونني!

إن إبراهيم ــ عليه السلام ــ هذا الفتى ، يُقعدهم على حجرهم ــ كما يقال ــ فلا يترك لهم منفذا من قول ، ببيان محكم ساخر يسقط كل دعواهم ، وأباطيلهم ، ويرجعهم إلى أصل التفكير الصحيح، بهذه السخرية البالغة ؛ إذ يجب عليهم أن يعيدوا التفكير فيما يعبدون ، وكيف يعبدون هذه التماثيل والحجارة الصماء التي لا تدفع عن نفسها شرا ولا تعلم من فعل بها شرا ؟! وعندما لا يجدون ما يتكلمونه أو يجيبونه به ــ ولعلهم يأخذهم البله أو تبهتهم الحجة ــ يعودون إلى أنفسهم لائمين ، ولكنهم ، بكبرهم ، يتجاوزون هذا الانتكاس بجدال خادع : ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ

﴾ ؛ ليدفعوا عن أنفسهم لزوم الحجة عليهم ، وسفه التفكير الذي هم فيه ، إنما إبراهيم عليه السلام يعيدهم إلى حجته ، ومنطقه الراجح ، هازئا بهم مرة أخرى ، ومنبها لهم عما هم فيه من سقط في العبادة والتفكير : ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ . بل إن إبراهيم الخليل ــ وقد علم كفرهم وإصرارهم ــ يغلظ لهم القول هازئاً وموبخاً : ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ، مما يجعلونه حجة لهم أن ينصرفوا عن نقاشهم معه ، ليقولوا ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

إن لفظة "حرّقوه " تظهر ما بهم من غيظ ناتج عن هذه الحجج المقيدة لهم ، التي جبههم بها إبراهيم ، وما يرافقها من سخرية جارحة دامغة ، وكان من المفترض بهم ــ لو فكروا ــ أن يعودوا لقول إبراهيم عليه السلام ، ولكنهم أخذتهم حمية الكفر الأعمى ، فنفثوا هذه السموم المنتقمة بقولهم " حرّقوه " ، التي تدل على الكثرة والمبالغة في الحرق؛ فكأنهم أرادوا أن يحرقوه من أطرافه أولا ، أو مرات يغطونه في النار ويخرجونه منها ، وربما فعلوا فلم تجد نارهم شيئا ، فقذفوه بها ! وكذلك كانت النار ﴿بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ، ولتأتي سخرية الله تعالى بهم ﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ .

سخرية أخرى ــ هذه ــ يتلقونها ، لا من إبراهيم عليه السلام بل من الله سبحانه فيها التخييب والتنكيل، والكلام الجامع والأسلوب الحكيم ٠

ولنتصور كيف خرج هؤلاء بعد خيبتهم التي لم تحدث لقوم قبلهم ؛ إذ نارهم لم تفعل شيئا ، وهي نار ! ، أرادوا بها كيد إبراهيم ــ الفتى هذا ــ فإذا بهم الأكثر خسرانا مما كانوا عليه من قبل ، والأكثر بوارا ٠

إن سخرية الله سبحانه هنا تأتي نصرة للحق ، وتجلية له بشكله المشرق الجميل ، وتنكيسا للباطل بوجهه المخزي المهين ٠

بهذه المقابلة البديعة تظهر السخرية هنا لا للنصح والإرشاد ، ولا للتنبيه ، بل لكشف سوءة الكفر ، وإظهار وجهه الأسود المشين ؛ إذ لا مجال ، بعد ، للدعوة والهداية ٠

ومن هذه الآيات المتقدمة نخرج بنوعين للسخرية كما رأينا :

سخرية تهدف إلى الهداية والتنبيه ، هي سخرية إبراهيم عليه السلام ، بلا مهادنة ولا ترقيق ، بل مع الصعق والتوبيخ علهم يعودوا أخيرا ، وقد أغلقت السبل ٠

وسخرية تهدف للزراية بهم وتنكيسهم ، وذر التراب فوق رؤوسهم ، وهي سخرية الله تعالى بهم ٠

هذا ، وكان إبراهيم ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد هزئ بهم وبأصنامهم ، من قبل ، كما تذكره لنا سورة الصافات ، مظهرا استخفافه البالغ بهذه الأصنام وزرايته بها : ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ

جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةَ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الصافات ٨٣ – ٩٨.

تأتي سخريته بهم عبر أستفهاماته الاستنكارية : ﴿ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةَ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾... ﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

إنه يسخر من عبادتهم ، وكذبهم فيها ، وتجاهلهم وبعدهم عن الله تعالى ، ولكن يظهر سخره بآلهتهم له طبع آخر، هو الاستخفاف البالغ ، والهزء المستهتر الذي ينظر هذه على حقيقتها فلا يراها إلا **ألعابا** تدعو إلى الضحك منها وممن اتخذها آلهة :﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾

نعم هي لا تأكل ، ولا تنطق أيضاً ، ولا تدفع عن نفسها الضرب ؛ فهي لا شيء ، فضلا عن أن لا تكون آلهة !

وكذلك تأتي سخرية الله تعالى بهم في نهاية الموقف ، عبر المقابلة ذاتها ﴿ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ ، وكانت آية "الأنبياء ﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾ ؛ ولعلنا نستنتج من هذا **أن سخرية القرآن الكريم لها منهجية ، أيضا؛ تأتي متشابهة حيث تتشابه المواقف . ومثلها قوله تعالى :**

﴿ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَ ﴾ الكهف ٢٩

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ **الأنفال ١٨ – ١٩**

وقوله تعالى :﴿ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ التوبة **٣٥**

حيث نجد أن الله سبحانه يعكس عليهم اللفظة بالسخرية منهم : ﴿ يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ ﴾ ، و(تستفتحوا : الفتح) و(كنزتم : يكنزون)

هذا ولعل دراسة تحليلية مقارنة بين سورتي (الأنبياء والصافات) ، بالإضافة إلى سورة الشعراء والأنعام ومريم ،التي وردت فيها قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه ، تظهر لنا هذه السخرية أكثر .

أولا: تأتي هذه السور في ترتيب نزولها كالتالي [1]: مريم ٤٤ ، والشعراء ٤٧ ، والأنعام٥٥ ، والصافات ٥٦ ، والأنبياء ٧٣ ٠

أما في سورة مريم فإننا نجد إبراهيم عليه السلام ودودا رفيقا عطوفا يخاف على والده من العذاب وغضب الله تعالى، آملا في إيمانه، وتتردد على لسانه كلمة (يا أبت) ؛ حبا ورجاء : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ مريم ٤١ – ٤٨ .

بهذا الأسلوب الرقيق الرفيق يبدأ إبراهيم مع أبيه ، داعيا له للإيمان ،وطبعا دون سخرية ، أو تجريح ٠

وورد في سورة الشعراء ، في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه ، قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾

١ أخذا عن تفسير (معارج التفكر ودقائق التدبر) الذي فسر القرآن وفق نزول سوره

قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ ٠

وفي هذه السورة المتقدمة إننا لا نجد سخرية أيضا؛ بل نجد إبراهيم، عليه السلام ، يسألهم ويحاورهم، ويبين لهم عجز هذه الأصنام التي يعبدونها ، ويعرفهم بربه تبارك وتعالى ، وببعض صفاته٠ يبدؤهم " **مَا تَعْبُدُونَ** " ؛ كي يقفهم على هذه العبادة ، وعندما يجيبون :" **نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ** " ، يعقب بالسؤال :" ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ ، وسيكون الجواب :لا ﴿ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ ، فيبين لهم موقفه من هذه التماثيل العُجّز؛ إنما هي عدو له ، ويبين مَن معبودُهُ ؛ إنما هو رب العالمين : الخالق الهادي المطعم الساقي الشافي المميت المحيي الغافر الذنب وقابل التوب ٠ يظهر هذه الصفات لله تعالى مقابل إقرارهم بعجز تلك الأصنام ، ويبين لهم ــ أملا بإيمانهم ــ بأسلوب منطقي واقعي رزين ، دون هزء ودون تجريح ، ودون مجادلة ومشاقة معتمدا على ظهور المقارنة بين آلهتهم وإلهه٠

إذا هذا بيان آخر يقدمه إبراهيم عليه السلام هذه المرة لأبيه وقومه معا، بعيدا ــ أيضا ــ عن السخرية ٠

وننظر في سورة الأنعام ، التي أتت بعد (مريم والشعراء) في نزولها، فنجد خطاب إبراهيم عليه السلام يشتد أكثر مع استنكار وتعجب :﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ ٠

نعم نجد قوله هنا أشد مما هو عليه في السورتين السابقتين؛ نجد : ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ونجد : ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ ونجد: ﴿ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٠

ومن ثم نجد هذا الأسلوب يشتد أكثر ليصل إلى السخرية تلك التي بيناها في سورة الصافات ثم الأنبياء ، وذلك على التوالي في ترتيب النزول٠

من هذا يتبين لنا أن للقرآن الكريم منهجه الحكيم ــ إذ هو كتاب الله تعالى ــ في الدعوة ؛ لذلك أتت السخرية آخرا في هذا الخطاب مع إبراهيم وقومه ؛ **وبهذا نعلم أن السخرية سلاح نافذ يستخدم إذ لا ينفع الدواء ، كما هو الكَيّ ٠ وتنبيه خطير يرسل إذ لم ينفع الخطاب** ٠ ومن هذا نستطيع أن

نعلل التكرار في القرآن الكريم ؛ إنما هو تنوع في الخطاب القرآني ، وارتقاء في أسلوب دعوته للكفار ، وإنما جعلت السخرية ، هنا ، آخرا ؛ لأنها الأسلوب الأقوى الحاسم لكل جدال ٠ وبهذا نستطيع أن نعلل عدم ورودها في القرآن الكريم في سوره الأولى ، بل لسور كثيرة نزلت منه ٠ وأسرد ، هنا ، أسماء سوركثيرة وفق ترتيب نزولها[1] ، لا نرى فيها أثرا للسخرية على الإطلاق ، هي : العلق والمدثر والمزمل والقلم والفاتحة والمسد والتكوير والأعلى والليل والفجر والضحى والشرح والعصر والعاديات والكوثر والماعون والكافرون ، والفيل والفلق والناس والإخلاص والنجم وعبس والقدر والشمس والبروج والتين وقريش والقارعة والقيامة والهمزة والمرسلات ٠

هذه ثلاث وثلاثون سورة ويمكن أن نعد بعدها ، خلت من السخرية ؛ أي أن القرأن الكريم مضى سنوات في دعوته متبعا الحجة والبرهان بأسلوب هادئ رقيق ، حتى دعاه عنادهم بالباطل ومماطلتهم فيه إلى التنكيل بعبادتهم وهزئه بها كعلاج أخير ٠ **وهذا فن ، ومنهج تربوي في الدعوة ، نتعلمه من القرآن العظيم ٠**

وصورة مضحكة من صور القرآن الكريم الساخرة بالكافرين نقف معها ، أخيرا، وهي في قوله تعالى :﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ التوبة ٣٢

١ عن تفسير معارج التفكر ودقائق التدبر / على واجهة المجلد الأول والثاني ٠

وتتكررفي سورة الصف :﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾

يظهر الكفار في هذه الصورة وقد مدوا أفواههم ينفخون كي يطفئوا نور الله ؛ نعم نور الله ! إذاً إنهم سينفخون كثيرا بلا شك ! وهل سيجدي نفخهم شيئا ؟ ولو مثلنا لنور الله سبحانه بأحد تجلياته : القمر أو الشمس

ولننظر إلى هذا النفخ كيف هو، وما هي جدواه ! إننا سوف نرى موقفا عجبا لمعتوهين أو مجانين، وإذا عرفنا أن هذا النفخ يتكررركثيرا ، بدلالة الجمع (أفواههم) وبدلالة المضارع المستمر (يريدون و يطفئوا)

أقول إذا عرفنا هذه الكثرة وهذا التكرار والجهد والمبالغة لتحقيق هدفهم وهو إطفاء نور القمر أو الشمس، فسوف نحصل على صورة مضحكة نادرة ، قد لا يصل إلى دونها حتى المجانين !

هذا إذا افترضنا أن النور كان شاخصا ماثلا، وقد حاولوا أن يطفئوه بهذه المحاولة العجائبة المهزومة ! فكيف بالنور إذا كان الإيمان ، هذا النور المعنوي ــ إلى جانب الحسي ــ فهل لهم أن يطفئوه؟!

صورة من صور القرآن الثابتة الواثقة المثبتة للمؤمنين الهازئة بالكافرين ، تظهر ما بهؤلاء من ضعف وكيد وغل ، يريدون أن ينفثوه من صدورهم ، ليحققوا شيئا من مآربهم ،ولو شيئا بسيطا يعللون أنفسهم به ، ولكن هيهات لمثلهم هذا ، وقد أيقنوا بثبات نور الإيمان وكينونته

إذاً إنها محاولات عبثية هم يعلمونها، يكشف الله سبحانه ، بهذه السخرية ، ما بهم من خداع لأنفسهم وعجز عن الفعل ، ومن ثم يظهر القرآن وأهله في ثبات وعلو، لا يهزهما عبث الكفر وضلاله .

المبحث الثاني :

في نماذج أخرى للسخرية من غير القرآن الكريم

(عند الصحابة والفقهاء والعلماء)

كنت قد قدمت ــ آنفاً ــ بحثاً حول تأثير القرآن الكريم في السخرية عند العرب بعد الإسلام ،في أدبهم، وأما هنا فالقصد أن أظهر نفحات من السخرية عند الفقهاء والعلماء متأثرين أيضاً بالقرآن عاكسين تشرب روحهم لهذا البيان العظيم ، وهذا لأجل استيفاء جوانب البحث وإغناء مراميه .

ولنجد، من ثم، شكلاً آخر من السخرية غير وجهيها الحلال والحرام السابقين ، ولأجل إظهار أنها وردت على لسان هؤلاء الأجلاء دفعاً لتحريمها المطلق وسلوكاً لها مدخلاً يمكن أن تكون به مبررة ؛ ولا أدل على ذلك أنها تصدر من هؤلاء الأجلاء ، وحسبك بعلي رضي الله عنه : (عن عبد الله بن عاصم بن المنذر ، قال : تزوّج عبد الله بن أبي بكر الصديق عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت حسناء ، ذات خلقٍ بارعٍ ، فشغلته عن مغازيه ، فأمره أبوه بطلاقها ، فطلّقها ؛ وقال : (ولم أر مثلي طلّق اليوم مثلها ** ولا مثلها في غير جرمٍ تطلّق) فرق له أبوه ، وأمره فراجعها ، ثمّ ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة الطائف ، فأصابه سهمٌ ، فمات منه ، فقالت عاتكة :

رزيت بخير الناس بعد نبيهم ** وبعد أبي بكرٍ وما كان قصّرا
وآليت لا تنفك عيني حزينةً ** عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فلله عيناً من رأى مثله فتىً ** أكرّ وأحمى في الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنّة خاضها ** إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوّجها عمر بن الخطاب ، فأولم ، وكان فيمن دعا علي بن أبي طالب ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ! دعني أكلم عاتكة ؛ فقال : كلّمها ؛ فأخذ عليّ بجانب الخدر ، ثم قال ؛ يا عديّة نفسها : (وآليت لا تنفك عيني قريرةً ** عليك ولا ينفك جلدي أصفرا، فبكت،فقال عمر : ما دعاكَ إلى هذا ؟ كل النساء يفعل هذا) ([1]) .

هذا الموقف وإن كان ينطوي على لوم لكن السخر فيه أكبر ؛ لأن لا فائدة من اللوم هنا وقد تم زواج عمر من عاتكة رضي الله عنهما ، والسخرية هنا لوم هازئ أو هزء لائم ، ولقائل أن يقول : لم فعل علي هذا ؟ ولنا أن نسأل ، ومن ثَمّ نقدر الجواب هو بالإيجاب ؛ فليس لعلي رضي الله عنه أن يهزأ ليجرح ، بل لينبه على قَسَم يجب أن لا يكون في الأصل ، ومن ثَمّ لا يكون من غيرها أيضاً بعد هذا .

إن تجاوزاً لعهد قد ألزمت عاتك به نفسها ،ومن ثَمّ نقضته ، لا يسكت عنه علي الأكرم بل ينبه على هذا الخطأ كي لا يكون العهد هذا من امرأة مرة ثانية .

إذاً نحن نطلق الأمر للإيجاب أيضاً في هذه السخرية وليس لنا هنا في هذا البحث أن نذهب هذا المذهب في كل ما سنورده ، بل من كون السخرية كانت من علمائنا الأجلاء هؤلاء سننطلق **لنثبت أن السخرية قد تكون طبعاً في بعض الناس لا يستطيعون التخلي عنها وهم بفطرتهم المرحة وخفة روحهم قد تأتي عفوية دون قصد تجريح أو تصحيح .**

وهذا الإطلاق دون تعليل سنعول عليه في الأمثلة والشواهد التالية ، اللهم بعض الوقفات والإشارات ،ويطالعنا علي رضي الله عنه أيضاً مع اليهودي عندما قال له اليهودي : " ما دفنتم نبيكم حتى قالت الأنصار منا أمير ومنكم

---

١ :أخبار الظراف والمتماجنين ص : ٥٣ ـ ٥٤

أمير ! فقال علي : أنتم ما جفت أقدامكم من البحر حتى قلتم : اجعل لنا إلهاً ! "[1] .

وهذه سخرية أعمق من علي رضي الله عنه يرد بها على كيد يهودي يريد أن يسخر فيهدم بناء الإسلام والمسلمين .

وإنها لمن السخرية الموجهة التي ترجح في الميزان سخرية اليهودي، وتنقض ما فتل ذاك اليهودي لتعكس الأمر عليه ؛ فليس من يطلب الإمارة كمن كفر بالله وأشرك ! وشتان ما بين أمتين .

وعلي هنا لا يريد أن يفند أو يعلل طلب الإمارة وإظهار ضرورة الخلافة كي لا ينفرط عقد المسلمين ، لا يريد أن يذهب إلى هذا ؛ لأن عنده ما يُسكِتُ به ويَرجُح على ما قدم ذاك ؛ بل يلغي ليثبت إدانة أعظم وجرماً لا ينكر ، **فأتت السخرية سلاحاً أقوى من كل سلاح ، ولنتصور لو أن علياً عليه السلام لطمه أو أسكته أو أخذ يعلل له هل كان هذا أقوى من سخريته هذه ؟! وبالطبع لا .**

ومثل هذه السخرية نجدها عند الباقلاني رحمه الله وقد سأله بعض الأساقفة بحضرة ملكهم فقال : (ما فعلت زوجة نبيكم ؟ وما كان من أمرها بما رميت به من الإفك ؟ فقال الباقلاني مجيباً له على البديهة : هما امرأتان ذكرتا بسوء : مريم وعائشة فبرأهما الله عز وجل وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد ، وأتت مريم بولد ولم تكن لها زوج ــ يعني عائشة أولى بالبراءة من مريم ــ وكلاهما بريئة مما قيل فيها)"[2].

---

١ أخبار الظراف والمتماجنين : ٥٤ .
٢ البداية والنهاية : ٤٥٥/٦.

ونلحظ هنا أيضاً أنه لا يفيد في هذا الموقف إيراد الحجج والبراهين على براءة عائشة رضي الله عنها ، بل كان في رد الباقلاني الساخر هذا **إبلاغ أدق وأمكن** إذ كان على هذا الأسقف الجاهل أن يتريث في هذا التجريح بعائشة لعلمه بولادة مريم لعيسى عليهما السلام دون زوج .

وطبعاً الباقلاني ، الملهم هذا، أراد السخرية من الأسقف الجاهل هذا، وليس ترجيح الاتهام على مريم عليها وعلى عائشة السلام .

(ولمّا قدم معاوية حاجاً تلقّته قريشٌ بوادي القرى ، وتلقّته الأنصار بأجزاع المدينة ، فقال لهم : ما منعكم أن تلقوني حيث تلقتني قريشٌ ؟ قالوا : لم يكن دوابٌ ؛ قال : فأين النواضحُ ؟ قالوا : أنضيناها يوم بدرٍ في طلب أبي سفيان .)[1] ٠

وكان هذا التعريض الساخر من الأنصار لمعاوية ــ رضي الله عنهم ــ أن معاوية يكلفهم المزيد من المشقة والاحترام مما لا ينبغي له ما لم يتصرفوه عن رغبة منهم ٠

(وقال معاوية لعقيل : إن فيكم لشبقاً يا بني هاشم ! قال : هو منّا في الرجال ، وهو منكم في النساء)[2].

ويقع ،هنا، معاوية ــ أيضاــ مع عقيل ٠

و(دخل الأحنف بن قيس التميمي على معاوية بن أبي سفيان يوماً، فقال: يا أحنف ما الشيء الملَّفف في البجاد؟ يعرض له بقول الشاعر:[3]

---

١ أخبار الظراف والمتماجنين ٥٧ ٠

٢ أخبار الظراف ٥٧ ٠

٣ الأبيات لأبي المهوش الأسدي . عن كتاب التبيه على أوهام أبي علي في أماليه ، ص ١٢١

إذا ما مات ميتٌ من تميمٍ

فسرّك أن يعيش فجيء بزاد

بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ

أو الشيء الملَّفف في البجاد

تراه يطوف في الآفاق حرصاً

ليأكل رأس لقمان بن عاد

والشيء الملفف في البجاد: وطب اللبن. فعلم الأحنف ما أراد معاوية بتعريضه، فقال: الشيء الملفف في البجاد هو السخينة يا أمير المؤمنين. وذلك أن قريشاً كانت تعّير بأكل السخينة. وهي حساء من دقيق كانوا يصنعونها عند المسغبة وغلاء السعر.)[1]

هذا ونجد السخرية عند كبار التابعين ، ومثله ما روى عامر الشعبي يوماً : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " تسحروا ولو ان يضع أحدكم إصبعه على التراب ثم يضعه في فيه ، فقال رجل : أي الأصابع ؟ فتناول الشعبي إبهام الرجل وقال : هذه " [٢].

ولقيه رجل وهو واقف مع امرأة يكلمها فقال الرجل : أيكما الشعبي ؟ فأومأ الشعبي إلى المرأة وقال هذه [٣] .

وسأله رجل عن المسح على اللحية في الوضوء فقال : خللها بأصابعك ، فقال : أخاف أن لا تبلها ! قال : فانقعها من أول الليل [٤] .

هذه المواقف من الشعبي، وهو الفقيه التابعي الجليل، لم يتورع فيها عن السخرية بالآخرين **وذلك دفعاً لهذا التقعر في السؤال في الدين** ،

---

١ بهجة المجالس وأنس المجالس ٣٧/٢ .

٢ أخبار الظراف : ٦١ .

٣ أخبار الظراف : ٦٢ .

٤ أخبار الظراف : ٦٢ .

أوتنبيهاً عن غفلة، وهذه معان للسخرية لم نقف عليها في القرآن بل هي شكل مشروع متطور لأسلوب حياتي يعيشه الناس في واقع حياتهم ولا يرون بداً من هذا الأسلوب للإبلاغ أو الدفع أو الزجر أو الامتناع .

ومن ذلك (قال سعيد الورّاق : كان للأعمش جارٌ ، كان لا يزال يعرض عليه المنزل ؛ يقول : لو دخلت فأكلت كسرةً وملحاً ؟ فيأبى عليه الأعمش ، فعرض عليه ذات يوم ، فوافق جوع الأعمش ، فقال : مرّ بنا ؛ فدخل منزله ، فقرّب إليه كسرةً وملحاً ؛ إذ سأل سائلٌ ، فقال له ربّ المنزل : بورك فيك ، فأعاد عليه المسألة ، فقال له : بورك فيك ؛ فلما سأل الثالثة ، قال له : اذهب ، وإلا والله خرجت إليك بالعصا ! قال : فناداه الأعمش : اذهب ويحك ! ولا والله ما رأيت أحداً أصدق مواعيد منه ، هو منذ سنةٍ يعدني على كسرةٍ وملح ، ولا والله ما زادني عليهما)[1].

(وروى أن أبا بكر بن عياش كان أبرص، وكان رجل من قريش يشرب الخمر، فقال له : قيل لنا إن نبيا من الأنبياء بعث بحلّ الخمر. فقال: لا أومن به حتى يبرئ الأبرص.)[2]

و(قال حفص بن غياثٍ : رأيت إدريس الأودي جاء بابنه عبد الله إلى الأعمش ، فقال : يا أبا محمد ! هذا ابني ، إنّ من علمه بالقرآن ، إنّ من علمه بالفرائض ، إنّ من علمه بالشعر ، إنّ من علمه بالنحو ، إن من علمه بالفقه ؛ والأعمش ساكتٌ ، ثم سأل الأعمش عن شيءٍ ، فقال : سل ابنك !)[3]

---

١ أخبار الظراف ٦٢ .
٢ بهجة المجالس ٣١/٢ .
٣ نفسه ٦٥ .

وبهذا نجد أن السخرية فن متطور من جهة ، وفن ينطلق من طبع في صاحبه لا يستطيع التخلي عنه من جهة ثانية ،وحسبنا بأبي دلامة ؛ فهو لا يستطيع إلا أن يسخر من نفسه وأهل بيته ، يقول وقد بشر بمولودة :

فما ولدتك مريم أم عيسى ... ولم يكفلك لقمان الحكيم
ولكن قد تضمك أم سوءٍ ... إلى لباتها وأب لئيم[1]

ومن قبله نرى الحطيئة يقول [2]:

أَرَى لِيَ وجهاً شَوّهَ اللهُ خَلْقَه ... فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّحَ حَامِلُهْ)

غير أننا نشير هنا إلى أن السخرية هذه من الصحابة والتابعين وغيرهم لم تأت سابقة دون موقف سابق عليها ، بل هي ــ كما رأينا ــ ردود ساخرة لمواقف وتصرفات لا ينفع معها إلا هذه السخرية ، ولعلنا أشرنا ، من قبل ، أن السخرية لو انقلبت إلى جد أو استعيض عنها بجد لانقلب الموقف إلى عداء أو شجار أو مجابهة ؛ فهي تنبيه وتصويب وتصحيح وحجة بديلاً عن المواجهة ؛ لهذا نقل عن المفكر الفرنسي أنتول فرانس قوله : إن الشهداء كانت تنقصهم السخرية

ونجد عند ابن عقيل سخرية بسائله، كسخرية الشعبي ، عندما جاءه رجل فقال : " إني أغتمس في النهر غمستين وثلاثاً ولا أتيقن أنه قد عمني الماء ولا أني قد تطهرت ! فقال له : لا تصل ، قيل له : كيف قلت هذا ؟ قال : لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رفع القلم عن المجنون حتى يفيق)، ومن ينغمس في النهر مرتين وثلاثاً ويظن أنه ما اغتسل فهو مجنون"[3].

---

١ الأغاني ١٨/ ٣٢ ٠ تحقيق سمير جابر٠
٢ نفسه : ١٥٦/٢
٣ أخبار الظراف : ١٠١ .

ويسخر الفقيه أبو حازم من الشيطان إذ " دخل المسجد فوسوس له الشيطان أنك أحدثت بعد وضوئك ؛ فقال : أوبلغ هذا من نصحك ! "[١].

و(قال سفيان بن وكيع : سمعت سفيان بن عيينة يقول : دعانا سفيان الثّوري يوماً ، فقدّم إلينا تمراً ولبناً خاثراً ، فلمّا توسّطنا الأكل ، قال : قوموا بنا نصلي ركعتين شكراً لله . قال سفيان بن وكيع : لو كان قدّم إليهم شيئاً من هذا اللوزينج المحدث ، لقال لهم : قوموا بنا نصلي تراويح)[٢].

ودخل حميد الطوسي على المأمون وعنده بشر المريسي[٣] فقال المأمون لحميد : أتدري من هذا ؟ قال : لا ، قال هذا بشر المريسي ، فقال حميد : يا أمير المؤمنين هذا سيد الفقهاء ، هذا قد رفع عذاب القبر ومسألة منكر ونكير والميزان والصراط ، انظر هل يقدر أن يرفع الموت فيكون سيد الفقهاء حقاً !" [٤] .

إن حميداً يسخر من هذا المدعي في الدين ما ليس فيه والمنكر لثوابت فيه ؛ فكما أن الموت حق لا يستطيع هو أن يرفعه فكذلك الأمور الأخرى التي ادعى بطلانها ، ولقد أتى بها بأسلوب ظاهره المدح (سيد الفقهاء) وأي سيد هذا !!

---

١ أخبار الظراف : ٧٠ .

٢ نفسه ٧٤ .

٣ :٣ بشر المريسي وهو بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي المتكلم شيخ المعتزلة، وأحد من أضل المأمون، وقد كان هذا الرجل ينظر أولا في شئ من الفقه، وأخذ عن أبي يوسف القاضي، وروى الحديث عنه وعن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وغيرهم، ثم غلب عليه علم الكلام، وقد نهاه الشافعي عن تعلمه وتعاطيه فلم يقبل منه، وقال الشافعي: لئن يلقى الله العبد بكل ذنب ما عدا الشرك أحب إلي من أن يلقاه بعلم الكلام.
وقد اجتمع بشر بالشافعي عندما قدم بغداد.
قال ابن خلكان: جدد القول بخلق القرآن وحكي عنه أقوال شنيعة، وكان مرجئيا وإليه تنسب المريسية من المرجئة، وكان يقول: إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر، وإنما هو علامة للكفر،(البداية والنهاية ٣٠٨/١٠ . .

٤ أخبار الظراف : ٩٣

وبهذا نستطيع أن نجزم أن للسخرية مكاناً لا يبلغه أي بيان في مواطن كهذه؟ إذ لا تنفع حجة ولا برهان .

وعلى مثل هذه السخرية القاهرة يسخر مجوسي من قدري واعتقاده؛ إذ (قال له القدري : ما لك لا تسلم ؟ قال : حتى يريد الله ! قال : قد أراد ذلك ، ولكن الشيطان لا يريده ؛ قال : فانا مع أقواهما).[1]

فنرى هنا باطلا يغلب قولا باطلا ٠

وقال الرشيد لشريك القاضي[2] ــ وكان من اليمن ــ :(" يا شريك آية في الكتاب ليس لك ولا لقومك فيها شيء ، فقال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ ﴾ الزخرف ٤٤ ، فقال : آية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء ، فقال : وما هي ؟ قال : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾ الأنعام ٦٦ " [3].

ويظهر هنا أن الرشيد قد فسر لفظة(قومك) بعشيرتك.

و(بعث معن بن زائدة إلى ابن عياش المنتوف بألف دينار وكتب إليه : قد اشتريت بها دِينك ٠ فكتب إليه : وصلت الدنانير وقد بعتك بها ديني ما خلا التوحيد لعلمي بقلة رغبتك فيه)[4] ــــــ

---

١ أخبار الظراف : ١٠٠ .

٢: هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله النخعي الكوفي)
الفقيه أحد الأعلام. مولده سنة خمس وتسعين. روى عن: أبي صخرة جامع بن شداد، وجامع بن ابي راشد، وزياد بن علاقة، وسلمة بن كهيل، وسماك بن حرب، وأبي إسحاق، وحبيب بن أبي ثابت، وعلي بن الأقمر، ومنصور بن المعتمر، وإبراهيم بن جرير البجلي، وخصيف، وعاصم بن بهدلة، وعمار الدهني، وعبد الملك بن عمير، وطبقتهم. ولم يرحل، بل اكتفى بعلم أهل بلده.
(١٦٦/١١)تاريخ الإسلام للذهبي

٣ بهجة المجالس وأنس المجالس : ١٥ شاملة .

٤ الأجوبة المسكتة ١٩٦ ٠

و(قيل لابن سيرين: من أكل سبع رطبات على الريق سبَّحت في بطنه، فقال ابن سيرين: لئن كان هذا هكذا فينبغي للوزينج إذا أكل أن يصلي الوتر والتراويح.)[1]

وقال المنذر بن الجارود لعمرو بن العاص : أي رجل أنت لو كانت أمك من عز قريش ؟ قال عمرو : أحمد الله إليك ، لقد عرضت قبائل العرب على نفسي أتمنى من أيهم تكون أمي في طول ليلتين ، فما خطرت عبد القيس على بالي " ([2]).

(قال معاوية لرجل من أهل اليمن: ما كان أحمق قومك حين قالوا: "ربنا باعد بين أسفارنا" أما كان جمع الشمل خيراً لهم؟ فقال اليماني: قومك أحمق منهم، حين قالوا: " اللَّهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السَّماء، أوائتنا بعذابٍ إليم"، أفلا قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.) [3]

هذا ويخطر بي سؤال ،في هذه النهاية ، هل سخر الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ؟ولدى الإجابة على هذا السؤال نجد أنه، ورد في كتاب عمدة القاري شرح صحيح البخاري (– حدثنا (قتيبة بن سعيد) حدثنا (الليث) عن (نافع) عن (القاسم بن محمد) عن (عائشة) رضي الله عنها أن رسول الله قال إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم

مطابقته للترجمة من حيث إن من زعم أنه يخلق فعل نفسه لو صحت دعواه لما وقع الإنكار على هؤلاء المصورين وقال الكرماني أسند الخلق

---

١ بهجة المجالس وأنس المجالس ٣٣/٢ .
٢ بهجة المجالس وأنس المجالس : ١٥ شاملة
٣ نفسه ٢ /٣٣

إليهم صريحا وهو خلاف الترجمة ولكن المراد كسبهم فأطلق لفظ الخلق عليه استهزاء أو أطلق بناء على زعمهم)[1]

و(حدثنا (محمد بن العلاء) حدثنا (ابن فضيل) عن (عمارة) عن (أبي زرعة) سمع (أبا هريرة) رضي الله عنه قال سمعت النبي يقول قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة٠٠٠

قوله ذهب من الذهاب الذي هو بمعنى القصد والإقبال إليه قوله فليخلقوا ذرة بفتح الذال المعجمة وهي النملة الصغيرة وهذا استهزاء)[2]

هذا من رسول الله ، عليه السلام ، نجده في معرض رده على أهل التصوير ،وهو ينقل ما يقال لهم ، وقد يجد الباحث إشارات ساخرة أخرى منه ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن تبقى هذه الإشارت الساخرة نادرة جدا بين مئات الآلاف من الأحاديث ، وهذا يدل على أنه، صلى الله عليه وسلم ،لم يسلك هذا المسلك في تبليغ الدعوة ، أومواجهة أعدائها٠

أشير إلى هذا باقتضاب ، لأنه، ليس من صلب البحث ، وللباحث القاصد أن يتعقب هذا الجانب في أحاديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ويوضحه٠

وبهذا أصل إلى نهاية هذه الدراسة ، ولا بد من إشارة إلى أهم ما خرجت به هذه الدراسة حول السخرية في القرآن ، من معان وأهداف ٠

١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٤٥/٤٧.
٢ نفسه ٢٥٨/٣٦ ٠

أهم ما خرجت به هذه الدراسة من معان وأهداف للسخرية

سوف أمضي ــ بعون الله تعالى ــ فألخص هنا ما خرجت به من معان للسخرية وأهداف ، ومن مرام كانت لهذا الأسلوب المتمكن في القرآن الكريم ، وقد ميزت ذلك ــ أغلبَه ــ بخط أظهر في النسخ ٠

وأشير ، أولا ، إلى أنني أوقفت بحثي على السخرية بمعنى **الهزء** ، وليس على ما وردت به من ألفاظ مباشرة ، وكان هذا في بداية البحث ــ ص١٨ ــ ؛ ذلك لأحدد معالم البحث ووجهته ٠

ومن ثم وجدنا أن السخرية **أسلوب (لا تقف عند ألفاظ بعينها بل تلمح من سياق الكلام وتستخلص من مقاصده) ص ٢٢**

وعليه فنحن مضينا في هذه الدراسة مع هذه الألفاظ للسخرية ، التي بمعنى الهزء ، ومع هذه الأساليب التي وردت بها في القرآن ٠ ونتج عن هذا:

أننا وجدناها عند الكفار ، وأتباعهم ، ضد المؤمنين ــ سواء بلفظها المباشر أم غير المباشر ــ إنما هي تقصد إلى إسقاطهم ، وإقصائهم عن التأثير ، والتقليل من شأنهم ما أمكنهم ذلك ؛ غير أننا نجد في سخريتهم غير المباشرة جوانب أكثر ، شأن السخرية (الأسلوبية) بشكل عام . وهكذا أتت السخرية عند هؤلاء سلاحاً لهم ضد المؤمنين ودواء لنفوسهم الضعيفة ومواقفهم المهتزة ، وصدًّا للإيمان أن ينتشر ، وتكبرا ولعبا بالدين ٠ ص٨٨.

ووجدناها في دفاعها عن المؤمنين تظهر رادعاً قوياً للكفر وصافعاً لهم على وجوههم وأذهانهم لينتبهوا . ومبشراً للمؤمنين ببشرى الفرح والفوز والانتصار والثقة بوعد الله. الكريم ٠ ص٩٦ ٠

ووجدنا عندما كانت السخرية تأتي بقلب المعنى ، ما كانت تأتي لتؤكد معنى وتنفي آخر فحسب ، بل نجد حشداً من الإدهاش والتنبيه والوعظ والتبكيت مع لوحات ومشاهد تعطي الثقة والثبات والطمأنينة في نفس المؤمن مع نفيها في الكافر ؛ ليعود فيأتمر بأمر الله .

وبهذا السخرية في القرآن لا تبقى تجريحاً ، أو قد لا تكون تجريحاً في الأصل ، بل هدفها ، في الكفار ، هو عودتهم من جديد قبل أن يلقَوا ذلك العذاب الشديد ، بالإضافة إلى ما في هذه السخرية من وعيد قاطع مؤكد بالعذاب .ص ٩٧

إنما هي وخزٌ منبّه ووعيد قاطع .

وأقول : لقد كانت سخرية القرآن أيضاً بديلاً عن العقاب ، فكانت بهذا فرصةً للكافرين والمنافقين كي يتراجعوا ، ومما لا شك فيه أن الكثير منهم ، أخيراً ــ تراجع ودخل الإسلام .

وهذه من رحمة الله سبحانه بعباده .

وأضيف إننا وجدنا أن هذه السخرية سامية ، سامية بكل ما في هذه الكلمة من معنى:

لأنها تهدف إلى الإصلاح والهداية.

وتتجه إلى المثال الروحي والأخلاقي .

ومقترنة بالدعوة إلى التفكير والتعقل ٠

وهي بعيدة عن الألفاظ النابية ٠

ولا تسخر من شخص لذاته بل لكونه عقبة في طريق نشر الإسلام ٠

وهي نماذج فريدة لم يطرقها أحد من قبل ، فيها من الإبداع ؛ إبداع في طريقة التعبير ، وفي المعنى ، ومن اختراع المعاني الجديدة الكم الكثير.

وهي واعية رزينة لا تخرج عن هدفها باستفزاز أو فجور من قبل الأعداء ٠

وهي جميلة أيضا؛ تنطوي على ذوق لطيف مراعية الموقف وأبعاد الزمان والمكان والمستقبل ، مستخدمة فنون البديع الكثيرة والمتنوعة ٠

ولأنها من رب حكيم عليم فهي لم تجرح مؤمنا ، بعينه، قبل إيمانه ؛ كي لا يتأثر بها بعد ٠

وهي أصيلة مستمرة مؤثرة ، وليست عارضة متأثرة ٠

وهي فن راق وليست سبابا وشتائم ٠ص ٩٩ــ ١٠٠

ولم تخف سخرية القرآن كلها ــ بالإضافة إلى هذه (في سورة العنكبوت) ــ من توجيه الفكر إلى الصواب والصح ٠ونجدها هنا في هذه القفلة ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ كحقيقة مستخلصة من المثال توضع أمام أعين وأذهان الكافرين ٠ ص ١١٧

ووجدنا أن سخرية القرآن لا تلجأ للشتيمة أو الفحش بل تعكس واقعاً ملموساً يعرفه هؤلاء من ضعف آلهتهم وبطلانها فتأتي لتوضيح المعنى،

أولاً، ثم لتوضح لهم أن حالهم مكشوفة في دعواهم وأباطيلهم ، ومن ثم لتضعهم على الطريق الصواب إن أذعنوا للحق ٠ ص١١٨

وقد كان لها منهجية ، أيضا؛ تأتي متشابهة حيث تتشابه المواقف٠

وقد أتت نصرة للحق ، وتجلية له بشكله المشرق الجميل ، وتنكيسا للباطل بوجهه المخزي المهين ص١٢٨ ٠

ولنجد، من ثم، شكلاً آخر من السخرية غير وجهيها الحلال والحرام السابقين ؛ إذ إنها وردت على لسان هؤلاء الأجلاء ،من الصحابة والتابعين ٠٠ دفعاً لتحريمها المطلق وسلوكاً لها مدخلاً يمكن أن تكون به مبررة : ص ١٣٣ ٠ بل إننا وجدناها أتت سلاحاً أقوى من كل سلاح ، وإبلاغاً أدق وأمكن ٠

وعلمنا أنها سلاح نافذ يستخدم إذ لا ينفع الدواء ، كما هو الكَيّ ٠ وتنبيه خطير يرسل إذ لم ينفع الخطاب ٠ ص١٣٥ ٠

ووجدناها تكون طبعاً في بعض الناس لا يستطيعون التخلي عنها ، وهم بفطرتهم المرحة وخفة روحهم قد تأتي عفوية دون قصد تجريح أو تصحيح .ص١٣٨

وبهذا وجدنا أن السخرية فن متطور من جهة ، وفن ينطلق من طبع في صاحبه لا يستطيع التخلي عنه من جهة ثانية ٠ ص١٤٣

ووجدناها دفعاً للتقعر في السؤال في الدين ، أوتنبيهاً عن غفلة، وهذه معان للسخرية لم نقف عليها في القرآن بل هي شكل مشروع متطور

لأسلوب حياتي يعيشه الناس في واقع حياتهم ولا يرون بداً من هذا الأسلوب للإبلاغ أو الدفع أو الزجر أو الامتناع ٠ ص١٤١

ولقد أشرنا إلى أن السخرية هذه من الصحابة والتابعين ، وغيرهم ، لم تأت سابقة دون موقف سابق عليها ، بل هي ــ كما رأينا ــ ردود ساخرة لمواقف وتصرفات لا ينفع معها إلا هذه السخرية ٠ ولعلنا أشرنا ، من قبل ، أن السخرية لو انقلبت إلى جد أو استعيض عنها بجد لانقلب الموقف إلى عداء أو شجار أو مجابهة ؛ فهي تنبيه وتصويب وتصحيح وحجة بديلاً عن المواجهة .**ص١٤٣**

وبهذا نستطيع أن نجزم أن للسخرية مكاناً لا يبلغه أي بيان في مواطن كهذه؟ إذ لا تنفع حجة ولا برهان . ص١٤٥

لهذا وجدناها أسلوبا راسخا في القرآن الكريم ، ولأهمية هذا الأسلوب نجد العالم محمد نعمان طه يعدها(من أخطر أغراض الأدب العربي شعره ونثره)[1].

١ السخرية في الأدب العربي : ص ١

الخاتمة

كانت بداية ربما أتت من غير ميعاد وعن غير سابق قصد مع عنواني هذا " السخرية في القرآن الكريم " ربما لجدة فكرة كهذه طرقتني فاستوقفتني ، وربما لعارض آخر لا أذكره ، ولكنني وقفت مع الفكرة هذه وها أنا في نهاية المطاف .

كيف كان هذا المسعى ؟ وما الحصيلة التي نتجت عنه ؟

أ ــ أما كيف كان هذا المسعى ؟ فلقد كان سهلاً عسيراً !! ولا غرابة ، ولنقل من الممتنع السهل ، أو السهل الممتنع .

أوضح :

أما أنه سهل نعم فهو سهل ، لكون القرآن الكريم العظيم بين أيدينا وشروحه وتفسيراته من الوفرة ؛ حيث لم تتوفر لكتاب مثله على مر تاريخ البشرية ، فنحن أمام مئات من هذه التفاسير المتنوعة المطولة والموجزة والمسهبة والمركّزة . مما يسهّل للباحث التعامل مع النص والعمل في البحث .

وأما أنه عسير أو ممتنع ، فلأن بحثاً كهذا ظهر فريداً من بين البحوث التي درست القرآن وتناولت مواضيعه ، اللهم إلا بحثاً واحداً في بابه كان رسالة في العالمية للباحث عبد الحليم حفني بعنوان : " الأسلوب الساخر في القرآن الكريم " عام ١٩٦٤ . وإنه لمن العجيب أن يكون أسلوب تعبيري واسع في القرآن الكريم كهذا لم يخصه الدارسون بالبحث والتعريف . نعم نجد نثارات من الإشارات إلى السخرية في التفاسير ، وكتب الأدب التي درست السخرية في الأدب ، نجد إشارات إلى سخرية القرآن ولكن ذلك لم يكن لينفرد ببحث سوى دراسة العالم حفني .

ومع هذا لم تكن دراستي هي نفسها دراسة العالم حفني في المواضيع ونهج الدراسة بل ثمة تقاطع معها في بعض النقاط فقط . ومن ثَمّ فقد توجّهت دراستي إلى مواضيع جديدة وأظن أنها مفيدة ، إن شاء الله ، وهذا يعطي أن بحثاً حول سخرية القرآن يمكن أن يكون متشعباً لا تكفيه دراسات فضلاً عن دراسة أو دراستين .

وعليه فمن هنا كان العسر أو الامتناع ، فأنا كنت أمام وجهات جديدة تحتاج إلى رؤية ودراية وروية لتفتيق نقاط البحث ولأمها ومن ثم إخراجها وجمعها ، وقد كان والحمد لله ، وإن كان أن بحثاً كهذا لا يكفي ــ كما تقدم ــ بل يحتاج إلى توسّع أكثر ودراسات أوفر في الموضوع .

ب ــ وأما الحصيلة التي نتجت عنه ، فهذا حكم الناظر وفضل المتكرّم ، لأنني لا أدّعي أنني شرعت نهجاً جديداً ، أو أقمت باباً عميداً ، بل إنه العلم المفيد ، أظهرت لهذا الفن التعبيري في القرآن الكريم علَماً ، وأقمت له سلّماً يسعى به من شاء بخطوات أوثق إن شاء الله وعلم أعمق ، ولي أن أشير إلى أن ما جمع في جنبات مباحث هذا البحث إنه لجمع جديد ومادة أصبحت مقعّدة أكثر سواء بأفكارها أم بنهجها ومصطلحاتها .

ولا شك أن التوفيق من الله سبحانه . وإنني هنا أضع هذا البحث بين يدي أساتذتي فعسى أن ينال قبولهم ويحظى بتقديرهم وتوجيههم لي إلى الأصوب والأفضل ، ولسوف أعمل بهذا التوجيه وأعده فضلاً آخر فوق فضل قبولي طالباً في هذا الصرح العلمي الحميد .

الطالب

محمد عدنان حسن الخطيب

في جمادى الثانية ١٤٣٣هـ / أيار ٢٠١٢م

مسرد بالآيات التي بني عليها البحث

قال الله جل ثناؤه :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾ الجاثية ١٣

﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦ ﴾ الزمر : ٥٦ .

"ومسخَّر" ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ البقرة : ١٦٤ .

﴿ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٩ ﴾ التوبة : ٧٩.

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤ ﴾ الطارق :١٣، ١٤

﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠ ﴾ المؤمنون : ١١٠ .

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ ﴾ الأنبياء : ٥٥

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ الأنعام : ٧٠

﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ٣٠ ﴾ السجدة : ٣٠

﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ ﴾ هود : ٣٨ .

﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ آل عمران:٢١

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨ ﴾ البقرة : ٢٦٨

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ١١٣ ﴾ طه ١١٣

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٥ ﴾ الأنفال : ٣٥

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١ ﴾ البقرة :١٧١

﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥ ﴾ الحج :١٥ ،

﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴾ المطففين :٣٠

﴿ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا ﴾ الأنبياء:٦٢

﴿ ٱلَّذِى يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ ﴾ الأنبياء:٣٦

﴿ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ ﴾ الصافات:٩١ــ ٩٢

﴿ مَّا نَدۡرِى مَا ٱلسَّاعَةُ ﴾ الجاثية: ٣٢

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٢١ ﴾ لقمان :٢١ .

﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ سبأ : ٢٤ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ ﴾ الحجرات : ١١ .

﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٦٧ ﴾ البقرة :٦٧

﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا ﴾ البقرة : ٢٣١ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾ المائدة : ٥٧.

﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ ﴾ التوبة : ٦٤-٦٥ .

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣ ﴾ الإسراء : ٥٣ .

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ ﴾ الفرقان : ٦٣ .

﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ٢٦ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧ ﴾ الآيات : ٢٤-٢٥-٢٦ــ٢٧ من سورة إبراهيم .

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ ﴾ المؤمنون : ٣

﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ النساء : ١٤٨ .

﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ الزخرف : ٥٤ .

﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِي ﴾ الفرقان ٢٩

﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٣٠ ﴾ الروم : ٣٠ .

﴿ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ ﴾ التين ٤ ـ٥

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴾ العنكبوت ٤٥

﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ التوبة : ١١٩ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ النساء : ١٤٠ .

﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝١٤٥ ﴾ النساء : ١٤٥ .

﴿ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ المدثر .

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ .البقرة ٢١٢

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ :الأعراف ٨٢ .

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ : ٨٧ هود.

ج ــ وفي الزخرف ﴿ وَقَالُوا يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ : ٤٩ .

د ــ وفي النساء ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِ ﴾ : ٤٦ .

هــ ــ ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنبياء :٢.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الزخرف : ٤٧.

﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ الأحقاف : ٢٢

﴿ كَلَّاۖ بَلۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ المطففين : ١٤ .

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ أَعۡمَـٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴾ النمل : ١٤ .

﴿ أَمۡ أَنَاْ خَيۡرٞ مِّنۡ هَـٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ الزخرف:٥٢.

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ الإسراء : ٨٢ .

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَـٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ البقرة : ١٤-١٥

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ ﴾ البقرة : ٢٢ .

﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الأنعام ١٠

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ الدخان ٤٣-٤٩ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ المطففين ٢٩-٣٦ .

﴿ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ الحديد : ١٢-١٤ .

﴿ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنبياء : ٦٣

في سورة النحل : ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ ٦٢

﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود : ١

﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ يونس : ٩١

﴿ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ المعارج : ٤٣ .

﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ سبأ : ٥٣

﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ الشعراء : ٦.

﴿ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآ ﴾ الأعراف : ١٧٩ .

﴿ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ العنكبوت : ٥٥ .

﴿ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الذاريات ١٣ ــ ١٤ .

﴿ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴾ التوبة : ٣٥ .

﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ﴾ السجدة: ١٤ .

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ فاطر : ٢٢ .

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الدخان : ٢٩ .

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ العنكبوت : ٤١ .

﴿ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ المنافقون : ٤ ت : ٤١ .

﴿ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ المنافقون : ٤

::: ::::::: :::

مسرد بالآيات القرآنية التي وردت فيها السخرية لفظا أو معنى

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥ ﴾ البقرة ١٥

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ البقرة : ٢٢ .

﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ ﴾ البقرة :٦٧

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١ ﴾ البقرة

ومسخَّر" ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ البقرة : ١٦٤ .

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١ ﴾ البقرة :١٧١

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ **البقرة**

﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا ﴾ البقرة : ٢٣١ .

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨ ﴾ البقرة : ٢٦٨

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ ﴾ آل عمران٢١

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧ ﴾ **آل عمران١٦٧**

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ٤٦ ﴾ النساء

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩ ﴾ النساء

﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ ﴿ **النساء : ١٤٢** ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ٥٨ ﴾ المائدة

﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠ ﴾ المائدة

﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠ ﴾ الأنعام ١٠

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠ ﴾ الأنعام ٧٠

﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ﴾ الأنعام ٨١

﴿ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤ ﴾ الأنعام ١٤٤

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾ الأعراف ٤٤

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١ ﴾ الأعراف ٥١

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠ ﴾ الأعراف ٧١

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الأعراف ٨٢

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾الأعراف ١٦٠

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ الأنفال ١٩

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةًۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنفال : ٣٥

﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ التوبة : ٣٥ .

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ التوبة

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ **التوبة ٤٩**

﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ **التوبة ٧٩**

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ يونس ١٥

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يونس ١٨

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ يونس

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ يونس ٤٨

﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ يونس : ٩١

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾

هود:١١

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٩﴾ هود ٣٨ – ٣٩

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ٦٥﴾**هود ٦٥**

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾ : ٨٧ هود.

﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾) الرعد ١٤

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩﴾

إبراهيم٩

﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥ ﴾ إبراهيم

﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ٢٦ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧ ﴾ الآيات : ٢٤-٢٧ من سورة إبراهيم .

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٣ ﴾ الحجر٤٣

﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٤ ﴾ الحجر ٨٤

﴿ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١ ﴾ النحل٢١

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ ﴾ النحل٢٤

في سورة النحل : ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ٦٢ ﴾ ٦٢

﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣ ﴾ النحل٦٣

﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾ الإسراء ٥١

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الكهف ٢٩

﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾ طه٧٩

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الأنبياء ٢ – ٣

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنبياء ٢٤

﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ الأنبياء:٣٦

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الأنبياء ٤١

﴿ قَالُوا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الأنبياء : ٥٥

﴿ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

الأنبياء : ٦٣

﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ الحج :١٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ الحج٧٣

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ المؤمنون : ٣

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ المؤمنون ١٠٩ – ١١٠

﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ الفرقان ٤١ – ٤٤

﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٦ ﴾ الشعراء : ٦

﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ ﴾ النمل٦٦

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ﴾ العنكبوت : ٤١ .

﴿ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٥ ﴾ العنكبوت : ٥٥

﴿ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ٣٥ ﴾ **الروم ٣٥**

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ ﴾ لقمان ٦

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١ ﴾ لقمان :٢١

﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٤ ﴾ السجدة : ١٤ .

﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ٣٠ ﴾ السجدة : ٣٠

﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤ ﴾ سبأ ١٤

﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤ ﴾ سبأ : ٢٤ .

﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَاهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤ ﴾سبأ ٤٤

﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ سبأ : ٥٣

﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢ ﴾ فاطر : ٢٢ .

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ٤٠ ﴾ **فاطر ٤٠**

﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ٧٥ ﴾ يس٧٥

﴿ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ١٢ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ١٣ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ١٤ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ١٥ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧ ﴾ الصافات ١٢- ١٧

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣ ﴾ الصافات٢٣

﴿ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢ ﴾ الصافات:٩١ــ ٩

﴿ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ١٥٠ ﴾ ﴿ **الصافات : ١٥٠** ﴾

﴿ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣ ﴾ ص ٦٣

﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾ الزمر ٨ - ٩

﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦ ﴾ الزمر ١٦

﴿ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الزمر

﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الزمر : ٥٦ .

﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ غافر٨٣

﴿ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ فصلت١٥

﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴿٥١﴾ ﴾ فصلت٥١

﴿ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾ الشورى ١٨

﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الزخرف١٩

﴿ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ **الزخرف : ٢١**

﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الزخرف ٣٢

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الزخرف : ٤٧.

﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ الزخرف: ٤٩ .

﴿ أَمۡ أَنَاْ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ الزخرف:٥٢

﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الدخان٩

﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ **الدخان ٢٩**

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ الدخان ٤٣-٤٩ .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣ ﴾ الجاثية ١٣

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥ ﴾ الجاثية ٢٥

﴿ قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ الجاثية: ٣٢

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤ ﴾ الأحقاف ٤

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ ﴾ الأحقاف : ٢٢

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾ الحجرات ١١

﴿ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ١٤﴾ الذاريات ١٣ ــ ١٤ .

﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ١٢ ﴾ الطور ١٢

﴿ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ٥٩ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ٦٠ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ٦١ فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ۩ ٦٢ ﴾ النجم ٥٩ – ٦٢

﴿ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ ﴾ الواقعة ٤٣ – ٤٤

﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ٥٥ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٥٦ ﴾ الواقعة٥٥ – ٥٦

﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ ﴾ الحديد١٣

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ ﴾ الحديد١٥

﴿ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡ ﴾ المنافقون : ٤ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٥ ﴾ المنافقون ٥

﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢ ﴾ الملك٢٢

﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ المعارج ٣٦ – ٣٨

﴿ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ المعارج : ٤٣ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ المطففين ٢٩ – ٣٦

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ ﴾ الطارق :١٣، ١٤

﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾ الهمزة ١

تعقيب

إن نظرة للمسردين السابقين تكشف أن ما ورد في المسرد الثاني ؛ مسرد آيات السخرية في القرآن الكريم ــ لم يرد كله في البحث ؛ وذلك لأني لم أقصد في بحثي بناءه على آيات السخرية كلها ؛ بل قصدت استخلاص الأفكار الجامعة لها ، والاستشهاد منها على نقاط البحث ، ولم أشأ أن أكرر كثيرا الآيات الدالة على النقطة الدراسية الواحدة ؛ لهذا قصدت وضع هذا المسرد لأدل على آيات السخرية ــ أغلبها ــ في القرآن الكريم ، وللناظر في القرآن العظيم أن يقدر آيات أخرى تتضمن معنى السخرية ، وذلك تبعا لتقديره معناها ضمن السياق ، وقد نجد هذا في تفاسير أخرى ، غير ما اعتمدتُ عليه في استخراجها ؛ وكنت قد اعتمدت في إخراج هذا المسرد على تفسير الرازي ، وأبي السعود ، والألوسي ٠

الأحاديث الشريفة الواردة في الدراسة

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر ــ وقد عيّر أبو ذر بلالاً بأمه السوداء ــ : (يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية)[1] .ص ٥٥

(فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي قال : مرّ رجلٌ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس : (ما رأيك في هذا ؟) فقال : رجلٌ من أشراف الناس ، هذا والله حريٌّ إن خطب أن يُنكح وإن شفع أن يشفّع . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم مرّ رجلٌ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما رأيك في هذا ؟)

فقال : يا رسول الله هذا رجلٌ من فقراء المسلمين ، هذا حريٌّ إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفّع ، وإن قال أن لا يُسمع لقوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(هذا خير من ملء الأرض مثل هذا) .ص ٥٦

.. وقال صلى الله عليه وسلم : (المسلم أخو المسلم، لا يخونه ، ولا يكذبه ، ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام : عرضه ، وماله ، ودمه . التقوى ها هنا ــ أي في القلب ــ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)[2] .

---

[1] صحيح مسلم : ١٢٨٢/٣ .

[2] أخلاق المسلم : ٥٢ .

(لا تحاسدوا ولا تفاحشوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بعض وكونوا عباد الله إخوانا ...)[١].

(كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار . فقال الأنصاري : يا للأنصار . وقال المهاجري : يا للمهاجرين . فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما بال دعوى الجاهلية ؟!)[٢] .

. وحسبنا في النبي الكريم قدوةً الذي قال : (أدّبني ربي فأحسن تأديبي)[٣] .ص٦٢

ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : (ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين)ص٦٣

(هل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم)[٤] ٠ ٦٣ .

والمسلم في قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من سلم المسلمون من لسانه ويده)[٥] و(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً أو ليصمت)[٦] . وقال صلى الله عليه وسلم : (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)[٧] . ص٦٤ .

قال صلى الله عليه وسلم : (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ، يزلّ بها. إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب)[٨] .ص٦٤

---

[١] نفسه .

[٢] السيرة النبوية للصلابي : ٢٠٤ .

[٣] كنز العمال : ١٥٧/١٠ .

[٤] الاستذكار : ٥٦٩/٨ .

[٥] أخلاق المسلم للزحيلي : ٣٠٦ . متفق عليه .

[٦] نفسه ، متفق عليه .

[٧] نفسه .

[٨] أخلاق المسلم : ص٣٠٦ . متفق عليه .

(فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)[1] ص٦٧

(كل أمتي معافى إلا المجاهرون)[2] ص٦٨ .

(وقال صلى الله عليه وسلم : (كل مولودٍ يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[3] .٦٩

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار)[4] . ٧١ .

(الحياء والإيمان قرناء جميعا ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)[5].ص٧٢.

)[5].ص٧٢.

(إذا لم تستح فاصنع ما شئت)[6] .ص٧٢.

(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[7] ص٧٣ .

(تبسّمك في وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ..)[8] ص٧٣

(ألا أخبركم بأحبكم إلي ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ؟ فأعادها مرتين أو ثلاثاً ــ قالوا نعم يا رسول الله ؟ قال : أحسنكم خلقاً)[9] ص٧٣

---

[1] سيرة ابن هشام : ٢٥٤/٤ .

[2] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٣١٤/١٠ .

[3] الجامع الصغير : ٢٨٦/٢ .

[4] خلق المسلم : ١٤٧ . عن مسند أحمد .

[5] نفسه : ١٤٦ . عن الحاكم .

[6] مصنف ابن أبي شيبة : ١٧٢/٢١ .

[7] سنن البيهقي الكبرى : ١٩١/١٠ .

[8] خلق المسلم : ١٠ . رواه البخاري .

[9] نفسه : ١٥ . رواه أحمد .

(وسئل : أي المؤمنين أكمل إيماناً ؟ قال : أحسنهم خلقاً)[١] .ص٧٣

وقد قال له رجل : (يا رسول الله إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقها ، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، فقال : هي في النار . ثم قال : يا رسول الله فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها ، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ــ القطع من الجبن ــ ولا تؤذي جيرانها . قال : هي في الجنة)[٢] .ص٧٤.

(كل ابن آدم خطّاء ، وخير الخطّائين التوّابون)[٣].ص٧٤

"" من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله ""[٤] ص٧٥

(رفع القلم عن المجنون حتى يفيق) ص١٤٠

،،

[١] خلق المسلم : ١٤-١٥ . رواه الطبراني .

[٢] نفسه : ١٢ عن أحمد

[٣] سنن الترمذي : ٦٥٩/٤ .

[٤] أخرجه الترمذي وقال حسن غريب (المستخلص)

أبيات الشعر الواردة في الدراسة

ــ النجاشي يسخر من بني العجلان[1] :

قبيلة لا يغدرون لأمةٍ ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء إلا عشيةً إذا صدر الوراد عن كل منهل ٠ ص٥٨

ــ شاعر يسخر متناهياً في احتقار قوم اسمهم (الأشاقر)[2]:ص٥٩

قالوا الأشاقر تهجوهم فقلت لهم

ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا

قوم من الحسب الزاكي بمنزلة كالفقع بالقاع لا أصل ولا ورق

إن الأشاقر قد حلوا بمنزلة لو يرهبون بنعل عندنا علقوا

لا يكثرون وإن طالت حياتهم ولو تبول عليهم فأرة غرقوا

ــ ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا)[3] ص٦١ ٠

---

[1] البيتان للنجاشي يهجو بني العجلان زمن عمر رضي الله عنه "ديوان المعاني" : ١٧٦/١ .

[2] ديوان المعاني : ١٧٧/١ .

[3] من الآداب والأخلاق الإسلامية : ص٢٥٩ .

لابن الرومي [1] :ص٩٩

لك أنف يا بن حرب أنفت منه الأنوف

أنت في القدس تصلي وهو في البيت يطوف

وله : ص٩٩

فيا له من عمل صالحٍ يرفعه الله إلى أسفل

وقوله :ص٩٩

قصرت أخادعه وغاب قذاله فكأنه من خشية أن يصفعا

وكأنما صفعت قفاه مرة فأحس ثانية لها فتجمعا

للنجاشي في بني العجلان [2] :ص ١٠٠

قبيّلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

وما سمي العجلان إلا لقيلهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

للحطيئة :ص١٠٠

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

بشار بن برد :ص١٠١

بذلّة والديك كسيت عزاً وباللؤم اجترأت على الجواب

لجرير: ص١٠١

---

[1] صفحة : ١٩ ــ٢٠ والهجاء : ٤٩ من موسوعة روائع الشعر العربي

[2] ديوان المعاتي ١/ ١٧٧

ألم يك لا أبالك شتم تيم بني زيد من الحدث العظيم

يشينك أن تقول : أنا ابن تيم وتيم منتهى الحسب اللئيم

لأبي نواس يسخر من قِدر الرقاشي فيقول [1]: ص١٠٢

ودهماء ترسيها رقاش إذا شتت مركّبة الآذان أمّ عيال

تغصّ بحيزوم الجرادة صدرها وينضج ما فيها اتقاد ذُبال

وتغلي بذكر النار من غير حرّها وينزلها الطاهي بغير حبال

هي القدر قدر الشيخ بكر بن وائل ربيع اليتامى عام كلّ هزال

وله أيضاً [2] :ص١٠٣

وجه بنان كأنه قمر يلوح في ليلة الثلاثين

والخد من حسنه وبهجته كطاقة الشوك في الرياحين

ولدت من أسرة مباركة لا عيب فيهم من الشياطين

،لأبي دلامة يقول [3]:

ألا أبلغ لديك أبا دلامة فليس من الكرام ولا كرامة

إذا لبس العمامة كان قردا وخنزيرا إذا نزع العمامة

إذا لبس العمامة كان فيها كثور لا تفارقه الكمامة

---

[1] ديوان أبي نواس : ٥٢٧ .

[2] نفسه : ٥٤٠ .

[3] المستطرف ٢/ ٧ تحقيق مفيد قميحة

جمعت دمامة وجمعت لؤما كذاك اللؤم تتبعه الدمامة

فإن تك قد أصبت نعيم دنيا فلا تفرح فقد دنت القيامة

٠ ويقول وقد بشر ببنت [١]:

فما ولدتك مريم أم عيسى ولم يكفلك لقمان الحكيم

ولكن قد تضمك أم سوءٍ إلى لباتها وأب لئيم

لجرير: ص١٠٣

لنا البدر المنير وكل نجم وفيم التيم من طلب النجوم

وله: ص١٠٤

ورميت هضبتنا بأفوق ناصلٍ تبغي النضال فقد لقيت نضالا

يقول حسان بن ثابت [٢] :ص١٠٤

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير

وله:ص١٠٥

أولاد حام فلن تلقى لهم شبهاً إلا التيوس على أكتافها الشعر

لجرير: ١٠٥

ذوقوا وقد كنتمُ عنها بمعتزل حرباً تحرّق من حمي وإيقاد

لابن الرومي [١] :ص١٠٥

[١] الأغاني ٣٢/١٨ ٠ تحقيق سمير جابر ٠

[٢] موسوعة الشعر العربي / الهجاء : ٦٤ .

وقلن ذوقوا جناكم إن جانيكم مازل للحنظل الخُطبان نقافا

ابن المعتز [٢] :ص١٠٥

وذاقوا ثمر البغي وخنّاهم كما خانوا

لكثير :ص١٠٦

لقد أسمعت لو نا ديت حيّا ولكن لا حياة لمن تنادي [٣]

للبحتري:ص١٠٦

طاحوا فما بكت العيون عليهم بدموعها ومضوا بغير سلام

ابن دراج القسطلي :ص١٠٧

وإن ضاقت بهم أرض فأرض فما بكّت لمثلهم السماء

ـــ [٤] :

إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت

إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

عبيدة بن هلال :ص١٠٨

تأن ولا تعجل علينا ابن معمر فلست وإن أكثرت مثل المهلب

---

[١] ديوان ابن الرومي : ٢٤٦/٤ . وقال : الجنى (هنا) الحنظل الشديد ، والخُطبان : نبتة شديدة المرارة (لسان العرب :خطب) .

[٢] ديوان ابن المعتز : ٦٧٠ : ٦٧٠ .

[٣] ديوان كثير عزة : ٩٢ . والبيت وحيد في ديوان بشار : ص ٤٣٤ .

[٤] : الكشكول ١٧٦/٢ .وتنسب الأبيات للإمام علي رضي الله تعالى عنه .

كذلك كنا كلنا يا بن معمر وأنت كبيت العنكبوت المذبذب

للطرماح :ص١٠٨

ولو جمعت يوماً تميم جموعها على ذرة معقولة لاستقلّت

ولو أن أم العنكبوت بنت لهم مظلتها يوم الندى لأكنّت

جرير [١] :ص١٠٨

ما زلت تحسب كل شيءٍ بعدهم خيلاً تكر عليهم ورجالا

والمتنبي [٢] :

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم إذا رأى غير شيءٍ ظنه رجلا

وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل :ص١٣٤

رزيت بخير الناس بعد نبيهم ** وبعد أبي بكرٍ وما كان قصّرا

وآليت لا تنفك عيني حزينةً ** عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عيناً من رأى مثله فتىً ** أكرّ وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا شرعت فيه الأسنّة خاضها ** إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

لأبي المهوش الأسدي:ص١٣٨

إذا ما مات ميتٌ من تميمٍ فسرّك أن يعيش فجيء بزاد

بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ أو الشيء الملفف في النجاد

تراه يطوف في الآفاق حرصاً

---

[١] الكشاف : ٥٤٣/٤ . تحقيق عبد الرزاق المهذب .

[٢] أسلوب السخرية في القرآن : ٣٨٨ .

ليأكل رأس لقمان بن عاد

لأبي دلامة : ص١٤٠

فما ولدتك مريم أم عيسى ... ولم يكفلك لقمان الحكيم

ولكن قد تضمك أم سوءٍ ... إلى لباتها وأب لئيم[١]

والحطيئة يقول [٢]:ص١٤٠

أَرَى لِيَ وجهاً شَوّهَ اللهُ خَلْقَه ... فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّحَ حَامِلُهْ)

،،

[١] الأغاني ١٨/ ٣٢ ٠ تحقيق سمير جابر٠

[٢] نفسه : ١٥٦/٢

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحات الأخر
ابن أبي بكر عبد الله ١٣٣	
ابن أبي جهل عكرمة ٤٥	
ابن أبي حدرد ٤٦	
ابن أبي سلمى زهير ٣٢	
ابن أبي طالب علي ١٠٦	١٣٤
ابن أبي طالب عقيل ١٣٥	
ابن الخطاب عمر٥٧	١٣٤
ابن الرومي ٢٥	٢٨ـ٢٩ـ٩٧ـ٩٨ـ١٠٥ـ ١٠٧ـ ١٨٢ـ ١٨٥ـ١٩٤
ابن الضحاك أبو جبير٤٤.	
ابن الطفيل عامر ٣٤	
ابن العاص عمرو١٤٣	١٩٠
ابن العلاء محمد ١٤٣	
ابن المنذر عبد الله بن عاصم ١٣٣	
ابن الورد عروة ٣٥	
ابن أنيف قريط ٣٣	
ابن بدر الزبرقان ٩٩	
ابن بلقين عبد الله ٢٩	
ابن تيمية ١٧	
ابن ثابت حسان ٣٥	
ابن جبل معاذ ٧٦	
ابن حنبل أحمد ص٤٤	
ابن زائدة معن ١٤٢	

ابن زمعة عبد الله ٧٦ ابن زيدون ٩٧ ابن سعد قتيبة ١٤٢ ابن سلمة حماد ١٤٠ ابن سيرين ١٤٢ ابن شماس ثابت بن قيس ص٤٤ ابن عاشور ٥١ ابن عباس عبد الله: ص١٠ ابن عطية ٤٦ ابن عقيل١٣٩ ابن علاثة علقمة ٣٦ ابن عياش أبو بكر ١٣٨ ابن عيينة سفيان١٤٠ ابن غياث حفص ١٣٨ ابن غياث عبد الله بن حفص ١٣٨ ابن فضيل ١٤٣ ابن قيس الأحنف ١٣٧ ابن كلثوم عمرو ٣٤ ابن مالك كعب ٤٦ ابن مالك أنس ٥ ابن محمد القاسم ١٤٣ ابن مسعود عبد الله : ٩ ابن نفيل عاتكة بنت زيد بن عمرو ١٣٣ ابن هلال عبيدة ١٠٦ ابن هند عمرو٣٤ ابن وائل بكر ١٠١ ابن وكيع سفيان ١٤٠	١٤٣

ابن ياسر عمار٤٥	
أبو أمامة ١٢٠	
أبو بكرالصديق ١٣٣	
أبو حازم١٤٠	
أبو دلامة ١٠١	
أبو زرعة ١٤٣	
أبو شهبة ٥٩	
أبو نواس ٣١	٩٨
أبو هريرة ٥١	
أبو يوسف القاضي ١٤٠	
الأخطل ٢٦	١٠٣
الأعشى ٣٢	
الأعمش ١٣٨	
الألوسي ٤٩	١٢١
أم سلمة ٤٥	
امرؤ القيس ٣٣	
الباقلاني ١٣٥	
البخاري ٥١	١٤٣
البغوي ٤٥	
بلال ٤٥	
بنت حيي صفية ٤٥	
بنو الحماس ١٠٣	
بنو العجلان ٩٩	
بنو بكر١٠١	
بنو تميم ١٠٧	
البيهقي٥٢	٧١
الترمذي ص٤٤	
التميمي عمرو بن عبد الله بن معمر ١٠٦	
الثعالبي ٥٠	
الثوري سفيان ١٤٠	

الجاحظ ٩٧ جرير ٢٦ الحريري ٩٧ حفصة ٤٥ الحفني عبد الحليم : ٢-٣-٣٨- حوى سعيد ١٧ خباب ٤٥ الخلالي ٥٣ دراز محمد عبد الله ٦٩ رستم أسعد ٢٩ الرقاشي ١٠١ الزحيلي محمد ٥٢ الزحيلي وهبة٥٠ الزمخشري١٥ـ زهير البهاء ٢٦ الساعدي سهل بن سعد ٥٥ سالم٤٥ السدي١٠ سعيد الوراق ١٣٨ سلمان ٤٥ سمير جابر ١١٣٩ السميسر٢٩ السمين الحلبي ١١٥ الشافعي ١٤٠ الشعبي ١٣٧ شيبة٣٠ صهيب ٤٥ الضحاك ٤٥ ضيف شوقي ٣٦ الطرماح ١٠٧	٨٥-٨٦-٨٩-٩٣-١٥٠-١٥٢-٢٠٠ ٤٧-١١٤

الطوسي حميد ١٤٠
عائشة ٤٥
عبد الرزاق١٠
عبد الوهاب خلاف ٥٤
العسكري أبو هلال ١٥
عمارة ١١٤٣
عنترة ٣٤
الغزالي محمد ٥٧
الغفاري أبو ذر ٥٥
الفخر الرازي ١٧
الفرزدق ٢٩
الفكيك ٢٦
القشيري ١١٨
قطب السيد ٥٠
كافور ٢٧
كشاجم ٢٨
اللدن أحمد : ص١
لوط ٧٩
الليث ١٤٢
المأمون ١٤٠
المتنبي ٢٧
مجاهد ١٠
المراغي ٥١
المريسي بشر ١٤٠
مريم ١٢٧
مسلم ٥٠
مقاتل ١٠
المهذب عبد الرزاق ١٠٧
المهلهل ٣٤
موسى عليه السلام ٤٠

النابغة الذبياني ٣٤ نافع ١٤٢ النجاشي الشاعر ٢٦ نوح ٧٩ هارون ٤٥ الهمذاني بديع الزمان ٩٧ الهواري ٥٣ الهوال حامد عبده ٢٣ الهيثمي ابن حجر ١٧ الواحدي ص٤٤ وكيع ١٠ يغوث عبد٣٥	

المصادر والمراجع

١. . فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني / عالم الكتب (مسقط) .دون ذكر الطبعة والتاريخ

٢. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، العالم : فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، طبع بإذن رئاسة البحوث العلمية والإفتاء في السعودية ، دون دار نشر / ط١ ، ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٦ م.

٣. الأجوبة المسكتة / لابن أبي عون إبراهيم بن محمد بن أحمد (ت ٣٢٢ هـ) . تحقيق العالمة مي أحمد يوسف . عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية / القاهرة ٠ ط١ / ١٩٩٦ ٠

٤. أخبار الظراف والمتماجنين / لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ٠ تحقيق بسام عبد الوهاب الجاني ٠ دار ابن حزم ــ بيروت / ١٩٩٧ ٠

٥. أخلاق المسلم : للعالم وهبة الزحيلي . دار الفكر ، دمشق : بيروت الإعادة الثالثة ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ .

٦. أخلاق وآداب المجتمع الإسلامي من خلال سورة الحجرات / العالم وسيم فتح الباب ٠ موقع مكتبة صيد الفوائد ٠ غير مطبوع

٧. أساس البلاغة ، محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني / القاهرة / ١٩٩١ ، قام بإعداده للنشر : عمر بن رحال .

٨. أساليب السخرية في البلاغة العربية ، دراسة تحليلية وتطبيقية الرسالة العلمية ، رسالة لنيل درجة المعيدية في جامعة أم القرى / كلية اللغة العربية ، شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمن الغزالي ، ١٤١٤ هـ.

٩. أسباب النزول ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ، دار ومكتبة الهلال / بيروت ، ط٢ : ١٩٨٥ .

١٠. الاستذكار : ابن عبد البر النمري . تحقيق : سالم محمد عطا ــ محمد علي عوض ، دار الكتب العلمية ــ بيروت . ط١ : ١٤٢١ هـ– ٢٠٠٠ .

١١. أسس الأخلاق الإسلامية : عبد الرحمن حسن حبنكة ، دار القلم / دمشق ط٥ /١٤٢٠ــ ١٩٩٨.

١٢. أسس الحضارة الإسلامية : عبد الرحمن حسن حبنكة / دار القلم ، دمشق ــ بيروت . ط٢ : ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ .

١٣. أسلوب السخرية في القرآن الكريم : العالم عبد الحليم حفني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ : ١٩٨٧ .

١٤. الأغاني / لأبي الفرج الأصبهاني ٠ تحقيق سمير جابر ٠ دار الفكر ــ بيروت ٠ ط٢ ٠ دون تاريخ ٠

١٥. إنسانية الإسلام : مارسيل بوازار ، ترجمة العالم عفيف دمشقية ، دار الآداب / بيروت / ط١ : ١٩٨٠.

١٦. أهداف التربية الإسلامية : للعالم ماجد عرسان الكيلاني ، دار القلم / دبي / ط١: ٢٠٠٥ .

١٧. أيسر التفاسير لكلام العلي القدير / لأبي بكر جابر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم / المدينة المنورة ــ ط٥ / ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م

١٨. البداية والنهاية / لإسماعيل بن كثير الدمشقي ٠ تحقيق : دار إحياء التراث العربي ٠ طبعة ١ /١٤٠٨ ــ ١٩٨٨ ٠

١٩. البصائر والذخائر : أبو حيان علي بن محمد التوحيدي ، تحقيق : العالم وداد القاضي ، دار صادر / بيروت ــ لبنان . ط٤ : ١٤١٩هـ – ١٩٩٩ .

٢٠. البلاغة الواضحة : علي الجارم ومصطفى أمين ، تعليق : علي نايف الشحود . دون طبعة وتاريخ ٠

٢١. بهجة المجالس وأنس المجالس / ابن عبد البرالقرطبي ٠ (شاملة)

٢٢. تاريخ الأدب العربي /العصر العباسي الثاني . العالم شوقي ضيف / دار المعارف . ط١٢ : ٢٠٠١ .

٢٣. التحبير في علم التفسير . لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : زهير عثمان علي نور ، إدارة الشؤون الإسلامية ــ وزارة الأوقاف ــ دولة قطر ، ط١ : ١٤١٦ هـ– ١٩٩٥ .

٢٤. التعريفات : لعلي بن محمد بن علي الجرماني . تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ــ ط١ : ١٤٠٥ هـ

٢٥. تفسير (أبو السعود) أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم / لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة الرياض الحديثة / الرياض ، دون ذكر الطبعة والتاريخ .

٢٦. تفسير ابن المنذر : لابن المنذر النيسابوري ٠ تحقيق العالم سعد بن محمد السعد ٠ دار المآثر / المدينة المنورة ٠ ط١ ١٤٢٢ــ ٢٠٠٢

٢٧. تفسير ابن تيمية : دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ، تحقيق العالم : محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن / دمشق ــ بيروت . ط٢ : ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ .

٢٨. تفسير ابن عاشور : التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر تونس ١٩٨٤م .

٢٩. تفسير ابن عباس :تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ،المنسوب لعبد الله بن عباس ، جمعه مجد الدين أبو طاهرمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي / دار الكتب العلمية ــ لبنان.

٣٠. تفسير الأساس في التفسير : سعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع في القاهرة وحلب وبيروت ، الطبعة١ - / ١٤٠٥ – ١٩٨٥ .

٣١. تفسير البغوي : (معالم التنزيل) ، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة خميرية ، وسليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٤ : ١٤١٧ – ١٩٩٧ .

٣٢. تفسير البغوي : معالم التنزيل في التفسير والتأويل / لمحمد الحسين البغوي ، دار الفكر / بيروت . ط١ : ١٤٠٥ – ١٩٨٥ .

٣٣. تفسير البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ، دار الكتب العلمية / بيروت ــ لبنان ، ط١ : ١٤٠٨ هـــ– ١٩٨٨.

٣٤. تفسير التحرير والتنوير . للطاهر بن عاشور . الدار التونسية . ط ١٩٨٤ . وطبعة ١٩٧٢

٣٥. تفسير الثعالبي : الجواهر الحسان في تفسير القرآن لـــ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي . تحقيق : علي محمد معوض ــ وعادل أحمد عبد الموجود ، والعالم: عبد الفتاح أبوسنة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ط١ : ١٤١٨ / ١٩٩٧ .

٣٦. تفسير الجزائري : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ــ أبو بكر جابر الجزائري. مكتبة العلوم والحكم / المدينة المنورة ، ط١ : ١٤١٥هـــ – ١٩٩٤ .

٣٧. تفسير الجلالين : لجلال الدين محمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي .دار ابن كثير (على هامش المصحف)

٣٨. تفسير الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ٠ تحقيق أحمد محمد الخراط ٠ دار القلم ــ دمشق ٠ دون ذكر الطبعة والتاريخ ٠

٣٩. تفسير الدر المنثور: لجلال الدين السيوطي ٠ تحقيق العالم عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث للدراسات العربية والإسلامية : العالم عبد السند حسن يمامة ٠

٤٠. تفسير الرازي / للفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي / بيروت . ط٣ : دون تاريخ .

٤١. تفسير الرازي / للفخر الرازي ، دار الفكر ، لبنان ، ط١ : ١٤٠١/ ١٩٨١ .

٤٢. تفسير روح المعاني ، للعلامة محمود الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي / بيروت . ط٤ : ١٤٠٥ – ١٩٨٥ .

٤٣. تفسير السمعاني : لأبي المظفر ، منصور بن محمد السمعاني . تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن : الرياض ، دون طبعة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ .

٤٤. تفسير الشعراوي : محمد متولي الشعراوي ، راجعه وخرج أحاديثه : العالم أحمد عمر هاشم ، مطابع أخبار اليوم ، ١٤١١ / ١٩٩١ .

٤٥. تفسير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن / ابن جرير الطبري ، دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع ــ دون ذكر المكان والطبعة والتاريخ

٤٦. تفسير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن / ابن جرير الطبري ، دار المعرفة ــ بيروت / ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، دون ذكر الطبعة .

٤٧. تفسير "في ظلال القرآن" للسيد قطب ، دار الشروق / بيروت ، الطبعة الشرعية الثامنة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ .

٤٨. تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي عبد الحق . ابن عطية الأندلسي . تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ــ بيروت . ط١ : ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٤٩. تفسير المراغي . لأحمد مصطفى المراغي ، دار إحياء التراث العربي / بيروت ، دون ذكر الطبعة والتاريخ .

٥٠. التفسير المنير : العالم وهبة الزحيلي . دار الفكر المعاصر ــ دمشق ، ط٢ ، ١٤١٨ .

٥١. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام عبد الله بن أحمد النسفي . دار إحياء الكتب العربية / دون ذكر الطبعة والتاريخ .

٥٢. التفسير والمفسرون : دار القلم . بيروت ، العالم: محمد حسين الذهبي ، ط١ : دون تاريخ .دار الفكر ــ بيروت / لبنان ، دون تاريخ ودون طبعة ــ دار الوفاق / بيروت ، دون تاريخ ودون طبعة ٠

٥٣. التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه : أنو عبيد الله ابن عبد العزيز البكري . تحقيق الأب أنطوان صالحاني اليسوعي . دار الكتب المصرية / القاهرة / ٢٠٠٠م

٥٤. الجامع الصغير / لجلال الدين السيوطي . دار الفكر ــ بيروت . دون ذكر الطبعة والتاريخ ٠)

٥٥. خزانة الأدب وغاية الأرب : ابن حجة الحموي ٠ تحقيق : عصام شعيتو ٠ دار الهلال ٠ بيروت ٠ ط١ ــ ١٩٨٧ ٠

٥٦. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق : محمد نبيل طريفي / أميل بديع اليعقوب ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ١٩٩٨ .

٥٧. دستور الأخلاق في القرآن : العالم محمد عبد الله دراز ، تعريب وتحقيق : العالم عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة / بيروت ــ لبنان ط ١١ : ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥ م .

٥٨. ديوان ابن الرومي / شرح وتحقيق عبد الأمير علي مهنا / دار وكتبة الهلال / بيروت ٠ ط١ : ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م

٥٩. ديوان ابن المعتز : شرح العالم يوشف شكري فرحات / دار الجيل / بيروت ٠ ط١ : ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ ٠

٦٠. ديوان ابن دراج القسطلي / تحقيق العالم محمود علي مكي . منشورات المكتب الإسلامي / دمشق ٠ ط ١ : ١٣٨١ هـ ١٩٦١ ٠

٦١. ديوان ابن زيدون ورسائله / تحقيق علي عبد العظيم / دار نهضة مصر / القاهرة ٠ دون ذكر الطبعة والتاريخ ٠

٦٢. ديوان أبي فراس ، الحسن ابن هانئ / تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي / بيروت ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م

٦٣. ديوان الأخطل / اعتنى به وقدم له عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة / بيروت ـ لبنان . ط١ : ١٤٢٣ / ٢٠٠٣ .

٦٤. ديوان البهاء زهير . تحقيق : أدور وهنري بلمر ، دار الفنون في مدينة قمبرج / انكلترا ، ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥ م .

٦٥. ديوان الحطيئة : شرح السكري ٠ دار صادر / بيروت : ١٤٠١ / ١٩٨١ ٠

٦٦. ديوان الحماسة : أبو تمام الطائي . شرح التبريزي ، تحقيق : الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي ، مطبعة التوفيق / القاهرة ـ مصر . ١٣٢٢ هـ .

٦٧. ديوان المعاني : أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري دار الجيل / بيروت ، دون طبعة .

٦٨. ديوان النابغة الذبياني : اعتنى به حمدو طماس ٠ دار المعرفة / بيروت ٠ ط٢ : ١٤٢٦ / ٢٠٠٥ ٠

٦٩. ديوان امرئ القيس : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ـ بيروت / ط٢: ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .

٧٠. ديوان بشار بن برد / تحقيق مهدي محمد ناصر الدين ٠ دار الكتب العلمية ، بيروت ٠ ط ١ : ١٤١٣ ــ ١٩٩٣ ٠

٧١. ديوان جرير : شرح العالم يوسف عيد / دار الجيل / بيروت ٠ ط١ ٠ دون تاريخ ٠

٧٢. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري : تحقيق جمانة يحيى الكعكي ٠ دار الفكر العربي / بيروت ٠ ط١ : ٢٠٠٣ ٠

٧٣. ديوان عروة بن الورد والسموءل ٠ دار صادر / بيروت ٠ دون ذكر الطبعة والتاريخ ٠

٧٤. ديوان كثيّر عزة : قدم له وشرحه مجيد طراد / دار الكتاب العربي / بيروت : ط١ : ١٤١٣ / ١٩٩٣ ٠

٧٥. ديوان مهلهل بن ربيعة : شرح وتقديم طلال حرب / الدار العالمية / بيروت ٠ دون ذكر الطبعة والتاريخ ٠

٧٦. رجال حول الرسول : خالد محمد خالد . دار الفكر ــ بيروت ، دون ذكر الطبعة والتاريخ .

٧٧. الرسول العربي المربي : العالم عبد الحميد الهاشمي ، دار الهدى ــ الرياض. ط٢ : ١٤٠٥ – ١٩٨٥ .

٧٨. الزواجر عن اقتراف الكبائر : ابن حجر الهيثمي ، دار المعرفة . دون طبعة وتاريخ

٧٩. السخرية في أدب الجاحظ :عبد الحليم محمد حسين / الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ــ الجماهيرية الليبية / مصراتة ٠ ط١ : ١٣٧٩ و٠ر ــ ١٩٨٨ م

٨٠. السخرية في أدب المازني / ع حامد عبده الهوال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ ، دون طبعة .

٨١. السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ٠ العالم محمد نعمان طه /دارالتوفيقية للطباعة بالأزهر٠ ط١/ ١٩٧٨ ٠

٨٢. السخرية في القرآن الكريم ، دكتور عبد الحليم حفني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٨٧ ، دون ذكر الطبعة .

٨٣. السخرية في روايات بايتسير / دراسة لغوية سيكولوجية . ع: عبد الفتاح عوض ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر . ط١ / ٢٠٠١.

٨٤. سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون : جمال الدين ابن نباتة المصري / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٠ دار الفكر العربي / مطبعة المدني / القاهرة : ١٣٨٣ ــ ١٩٦٤ ٠

٨٥. السمير المهذب / علي فكري ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ، ط١ : ١٣٩٩ – ١٩٧٩ .

٨٦. سنن البيهقي الكبرى / أحمد بن الحسين البيهقي / تحقيق : محمد عبد القادر عطا . مكتبة دار الباز ــ مكة المكرمة . ١٤١٤ / ١٩٩٤ .

٨٧. سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . تحقيق : أحمد محمد شاكر ــ دون تاريخ .

٨٨. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، علي بن برهان الدين الحلي ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٠ هـ

٨٩. السيرة النبوية : للعالم محمد بن محمد أبو شبهة . دار القلم / بيروت ، ط٣ : ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ .

٩٠. السيرة النبوية : للعالم محمد علي الصلابي ، المكتبة العصرية : صيدا ــ لبنان. ط١ : ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ .

٩١. السيرة النبوية لابن هشام : عبد الملك بن هشام ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد . دار الجيل ــ بيروت ، دون ذكر الطبعة .

٩٢. شرح اختيارات المفضل للخطيب التبريزي : تحقيق العالم فخر الدين قباوة ٠ دار الكتب العلمية / بيروت ٠ ط٢ : ١٤٠٧ /١٩٨٧ ٠

٩٣. شعر الخوارج : إحسان عباس ٠ دار الثقافة / بيروت ٠ ط٢ : ١٩٧٤ ٠

٩٤. صحيح البخاري : الجامع الصغير المختصر ، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، تحقيق العالم : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت . ط٣ : ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ٠

٩٥. صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج القشيري ، دار إحياء التراث العربي / بيروت. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . دون ذكر الطبعة والتاريخ

٩٦. علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف ، مكتبة الدعوة ــ شباب الأزهر / عن الطبعة الثامنة لدار القلم ، دون تاريخ .

٩٧. علم أصول الفقه : لــ العالم محمد الزحيلي ، دار القلم / دبي ، ط١ : ٢٠٠٤ .

٩٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري : بدر الدين العيني الحنفي . دون ذكر الطبعة والتاريخ .

٩٩. الفتاوى الكبرى : لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ، دار المعرفة ــ بيروت . ط١ : ١٣٨٦ . تحقيق : حسين محمد مخلوف

١٠٠. الفرزدق : العالم شاكر الفحام ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ : ١٣٩٧ – ١٩٧٧ .

١٠١. الفروق اللغوية : لأبي هلال العسكري (ص١٨) ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة ــ القاهرة ــ مصر ، ١٤١٨ – ١٩٩٧ .

١٠٢. قواعد التفسير / خالد بن عثمان السبت . دار ابن عفان ــ السعودية ــ الخبر ــ العقربية . ط١ ــ ١٤١٧/١٩٩٧

١٠٣. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للعلامة : المنتخب الهمذاني / تحقيق : محمد نظام الدين الفتيح ، مكتبة دار الزمان /السعودية ــ المدينة المنورة ، ط١ : ١٤٢٧ هــ – ٢٠٠٦ .

١٠٤. الكشاف : الزمخشري ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، شارك في التحقيق : د. قتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ، مكتبة العبيكان ، ط١ ١٤١٨ هـ ١٩٩٨م . الرياض .

١٠٥. الكشاف عن حقائق التنزيل .. / للزمخشري . دار الفكر ــ بيروت . ١٤٢٨ / ٢٠٠٨ .

١٠٦. الكشاف عن حقائق التنزيل / للزمخشري ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود / والشيخ علي محمد معوّض ، مكتبة العبيكان . ط١ : ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .

١٠٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ــ لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة / بيروت ، دون طبعة وتاريخ .

١٠٨. الكشكول : بهاء الدين محمد بن حصين العاملي ٠ تحقيق محمد عبد الكريم النمري ٠ ط١ : ١٤٦٨ / ١٩٩٨ ٠

١٠٩. كل ما قاله ابن الرومي في الهجاء / العالمة نازك سابايارد ٠ دار الساقي ١٩٨٨ ٠

١١٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / لعلاء الدين علي .. الهندي ، تحقيق : الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا . مؤسسة الرسالة / بيروت . ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م ٠

١١١. لباب النقول في أسباب النزول عبد الرحمن السيوطي / تحقيق : محمد الفاضي ، مركز أهل السنة ، بركات رضا / غجرات الهند ، ط١ : ١٤٢٥ – ٢٠٠٤ .

١١٢. لسان العرب / جمال الدين محمد ابن منظور/ تحقيق عامر أحمد حيدر . مراجعة عبد المنعم جليل إبراهيم / دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان . ط١ / ١٤٤٢ ــ ٢٠٠٢

١١٣. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / لأبي الفتح ابن الأثير . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ــ بيروت / ١٩٩٥ .

١١٤. المجتمع المدني في عهد النبوة : خصائصه وتنظيماته الأولى . العالم أكرم ضياء العمري . منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، المجلس العلمي / مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي (١٠) . دون طبعة وتاريخ .

١١٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نور الدين علي الهيثمي ، دار الفكر ــ بيروت : ١٤١٢ هـ .

١١٦. محاضرات في التفسير الموضوعي . ع: عباس عوض الله عباس . دار الفكر/ دمشق . ط١ : ١٤٢٨ – ٢٠٠٧ .

١١٧. المحرر في أسباب نزول القرآن / العالم خالد بن سليمان المزيني ، دار ابن الجوزي / السعودية ــ الدمام . ط٢ : ١٤٢٩ .

١١٨. المستخلص في تزكية الأنفس / سعيد حوى ٠ دار السلام / القاهرة ٠ ط١٠ / ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م ٠

١١٩. المستطرف في كل فن مستظرف / شهاب الدين الأبشيهي . تحقيق : العالم مفيد محمد قمحية . دار الكتب العلمية ــ بيروت . ط٢ : ١٩٨٦ .

١٢٠. مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار . للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة . ضبطه وعلق عليه : سعيد اللحام . الإشراف الفني والمراجعة والتصحيح : مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر . دار الفكر . ط١ : ١٤٠٩ / ١٩٨٩ .

١٢١. مطالعات في الكتب والحياة :عباس محمود العقاد ٠ دار المعارف ١٩٨٧ ٠

١٢٢. معارج التفكر ودقائق التدبر : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ٠ دار القلم / دمشق ٠ ط١ : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م٠

١٢٣. معجم المحيط : مجد الدين ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي . مؤسسة الرسالة / بيروت . ط٢ : ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

١٢٤. معجم مقاييس اللغة / أحمد بن فارس . تحقيق : وضبط : عبد السلام هارون . دار الجيل / بيروت . دون تاريخ وطبعة .

١٢٥. المعلقات العشر / دار كرم / دمشق / دون تاريخ .

١٢٦. من الآداب والأخلاق الإسلامية : للعالم عبد الله عبد الرحيم العبادي ، منشورات المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت . دون طبعة وتاريخ .

١٢٧. منهجية البحث في التفسير الموضوعي ، للقرآن الكريم ، ع : زياد خليل محمد الدغامين . دار البشير / عمان / الأردن . ط١ : ١٤١٦ - ١٩٩٥ .

١٢٨. الموافقات في أصول الفقه : إبراهيم بن موسى الشاطبي ، تحقيق : عبد الله دراز . دار المعرفة ــ بيروت . دون تاريخ .

١٢٩. موسوعة روائع الشعر العربي / الهجاء في الشعر العربي ، إعداد سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية / بيروت ــ لبنان ، دون تاريخ .

١٣٠. نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشية بغية الألمعي / جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي . تصحيح : عبد العزيز الديونبدي . تحقيق : محمد عوامة . نشر : مؤسسة الريان ــ بيروت / ودار القبلة ــ جدة . ط١ : ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .

١٣١. نهاية الأرب في فنون الأدب : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ٠ تحقيق : مفيد قمحية وجماعة ٠ دار الكتب العلمية / بيروت ٠ ط١ : ١٤٢٤ / ٢٠٠٤ ٠

١٣٢. النوادر والطرائف في الشعر العربي : سراج الدين محمد ٠ دار الراتب الجامعية / بيروت لبنان ٠ دون تاريخ ٠

////////////////////////// //////////////////////

فهرس المحتوى

ص

١ استهلال

٢ خطبة البحث

٨ مخطط البحث

١٠ تمهيد (في أهمية التفسير الموضوعي

١٦ الباب الأول : مدخل إلى دراسة السخرية

الفصل الأول : معنى السخرية

١٧ السخرية : معناها اللغوي

١٩ معناها الاصطلاحي

٢٢ الألفاظ المشتركة معها

الفصل الثاني

٢٥ وسائل السخرية وأساليبها

الفصل الثالث

٣٣ السخرية عند العرب قبل الاسلام

الباب الثاني

٣٩ السخرية في القرآن الكريم

الفصل الأول : أنواع السخرية : سخرية محرمة ــ وسخرية مباحة

٤٠ تمهيد

٤٢ المبحث الأول :السخرية المحرمة في القرآن الكريم وسلبياتها

٤٣ السخرية بين المسلمين

٨١ السخرية المحرمة من قبل الكافرين والمنافقين بالمسلمين

٨٨ المبحث الثاني : السخرية المباحة في القرآن الكريم (سخرية القرآن الكريم بالكافرين والمنافقين)

الفصل الثاني

١٠٠ تأثير القرآن الكريم في السخرية عند العرب بعد الإسلام

الفصل الثالث

١١١ نماذج أخرى من صور السخرية

١١٢ المبحث الأول : نماذج أخرى من سخرية القرآن الكريم

١٤٤ المبحث الثاني: نماذج من سخرية الصحابة والعلماء

١٥٥ أهم ما خرجت به هذه الدراسة من معان وأهداف للسخرية

١٦٠ الخاتمة

١٦٢ مسرد بالآيات التي بني عليها البحث

١٧٢ مسرد بالآيات القرآنية التي وردت فيها السخرية لفظا ومعنى

١٩١ مسرد بالأحاديث الشريفة الواردة في الدراسة

١٩٥ فهرس أبيات الشعر الواردة في الدراسة

٢٠٢ فهرس الأعلام

٢٠٨ المصادر والمراجع